

المجاهد العزالي

من رسائل الامام

بحمد الاسلام العزالي

تتضمن على سبع رسائل

وهي

«الادب في الدين» و«أيها الولد» و«فيصل التفرقة»

«القواعد العشرة» و«مشكاة الانوار» و«رسالة الطير»

«الرسالة الوعظية»

+++++

طُبعت على نفقة ناشرها

البحاث المنقب عن الاسفار النفيسة

نحى الدين محمد الكركي

الطبعة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

(حقوق الطبع محفوظة لناشرها)

المطبعة العصرية ببغداد

رسائل غزالي

الجواهر النورية

مِنْ رَسَائِلِ الْأَمَامِ

حجة الاسلام الغزالي

تتضمن على سبع رسائل

وهي

« الادب في الدين » و « أيها الولد » و « فيصل التفرقة »
« القواعد العشرة » و « مشكاة الانوار » و « رسالة الطير »
و « الرسالة الوعظية »

طُبعت على نفقة ناشرها

البحاث المنقب عن الاسفار النفيسة

محمدي الدين صبيح الكندي

الطبعة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

(حقوق الطبع محفوظة لناشرها)

المطبعة العصرية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

شمار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام الغزالي — زالى

مصنف لفره الرسائل

رأينا أن نفتتح هذه المجموعة النافعة بترجمة مصنفها الامام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي عليه الرحمة ، فنقول :

١ — مولده ومنشأه :

ولد الغزالي في مدينة «طوس» من مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتوفي والده قبل أن يبلغ سن الرشد ، فنشأ معتمداً على نفسه ، مندفعاً الى طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة في تلك النفس الكبيرة ، فتلقى مبادئ العربية والفقه في بلده وانتقل الى جرجان فقرأ مبادئ الاصول على أحد أعلامها وعاد الى طوس

٢ — رحلته :

ولم يمكث طويلاً في بلده بعد أوبته من جرجان ، فقام برحلته

العلمية التي ارشدته الى العلم الصحيح ، واذاغت شهرته في الخافقين فقصد «نيسابور» حيث لازم امام الحرمين الجويني مدة انتهت بوفاة الجويني سنة ٤٧٧ هـ وانتقل الى العراق وقد سبقه اسمه الى تلك الآفاق ، فاتصل بالوزير نظام الملك ، ففوض اليه تدريس مدرسته «النظامية» ببغداد سنة ٤٨٤ هـ فأقام يثبت العلم ويصنف الاسفار مدة أربع سنين أصابه على أثرها مرض اضطره الى مفارقة العراق ، فرحل الى الحجاز حاجاً ثم أتى الشام فأقام في القدس نحو سنتين ، ورحل الى الديار المصرية فنزل بالاسكندرية وعاد بعد ذلك الى مسقط رأسه «طوس» منقطعاً الى العبادة ، فألزمه فخر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور فدرس بها مدة قصيرة ، وعاد الى ملازمة بيته بطوس حتى مات سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ودفن بمقبرة الطابران بظاهر طوس

٣ — مصنفاته

قل أن انتفع الناس بمصنفات أحد من العلماء انتفاعهم بكتب الامام الغزالي وقد ترجم الكثير منها الى اللغات الاجنبية كرسائله «الولدية» المدرجة في هذه المجموعة فقد ترجمت الى الالمانية باعتماد العلامة فون هامر بورغستال النمساوي ، و «الدرة الفاخرة في أحوال الآخرة» ترجمت الى اللغة الافرنسية باعتماد العلامة غاوتيه. ومن حسن حظ العلم أن أكثر كتب الغزالي بقي محفوظاً لم يصبه ما أصاب

سواه من الضياع والاندثار ، وفي هذا دليل على إقبال العلماء والمتعلمين في أيام الغزالي وبعده على نقل مؤلفاته واستنساخها للاستفادة منها . وها نحن نذكر المطبوع من كتبه في مصر وغيرها على ما انتهى إلينا العلم به :

- (١) - أحياء علوم الدين (٢) - المنقذ (٣) - عمدة المحققين
- (٤) - تهافت الفلاسفة (٥) - الدرة الفاخرة (٦) - مكاشفة القلوب
- (٧) - منهاج العابدين (٨) - بداية الهداية (٩) - سر
- العالمين (١٠) - المضمون به على غير أهله (١١) - الأجوبة
- الغزالية والمسائل الأخروية (١٢) - محك النظر (١٣) - المقصد
- الاسنى (١٤) - الحكمة في مخلوقات الله (١٥) - القسطاس
- المستقيم (١٦) - الاقتصاد في الاعتقاد (١٧) - الجوامع
- (١٨) - المستصفى (١٩) - الوجيز (٢٠) - آداب الصوفية
- (٢١) - الكشف والتبيين

كتبه التي طبعناها بمصر

واقعد بذلنا جهداً كبيراً في سبيل الحصول على ما لم يطبع من آثار الإمام صاحب الترجمة فرحلنا عدة رحلات إلى الاستانة وكردستان والعراق وفارس والشام وغيرها منقبين باحثين فكننا نعثر بين الفترة والأخرى على مصنف تلو آخر من تلك الكنوز الثمينة التي نشرناها للطالبيين وها هي أسماؤها :

- (١) الرسالة المدنية . استنسخناها من إحدى مكاتب الاستانة
- (٢) جواهر القرآن (٣) الأربعين في أصول الدين (٤) ميزان العمل
- (٥) معيار العلم (٦) مقاصد الفلاسفة (٧) كيمياء السعادة - يضاف إلى هذا ما اشتملت عليه هذه المجموعة التي سميناها « الجواهر الغوالي من رسائل الإمام حجة الاسلام الغزالي » وفيها سبع رسائل هي
- (١) الأدب في الدين (٢) أيها الولد (٣) في فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة
- (٤) القواعد العشرة (٥) مشكاة الانوار (٦) رسالة الطير
- (٧) الرسالة الوعظية . وقد سبق لنا طبع أربع رسائل من هذه في جملة مجموعة كبيرة سميناها « مجموعة الرسائل »

ومن أجل ما وفقنا الله إلى نشره كتاب « موعظة المؤمنين من أحياء علوم الدين » تأليف الاستاذ الكبير علامة الشام المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي ، فقد التقينا به عندما زارنا بمصر قبيل وفاته وأعلمنا بأنه لخص كتاب الأحياء تلخيصاً لم يذهب شيئاً من لباب الأصل وأنه فعل ذلك استرشاداً برأي المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية أيام كان في ضيافته إذ قال له يوماً إن أعظم كتاب للوعظ والارشاد هو كتاب الأحياء لو جرد واختصر اختصاراً حسناً ، ولما رأى الشيخ جمال الدين عليه الرحمة اهتمامنا بنشر آثار الإمام الغزالي أهدانا كتابه منسوخاً بخطه واذن لنا بنشره وسمح بأن نحفظ لنا حقوق طبعه ، فنشرناه أولاً وثانياً خدمة للعلم وطلابه .

هذه خلاصة وجيزة من ترجمة لامام الغزالي قدس سره ، وقد سبق أن أثبتنا له ترجمة مفصلة في صدر كتاب « معيار العلم » الذي طبعناه بمصر سنة ١٣٢٩ هـ فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع اليه

﴿ تمت ﴾



فهرس المجموعه

١ «الرساله الاولى»

الادب في الدين

٢٦ «الرساله الثانيه»

رسالتايتها الولد

٥٩ «الرساله الثالثه»

فيصل التفريقه بين الاسلام والزندقيه

٩٠ «الرساله الرابعه»

القواعد العشيه

٩٨ «الرساله الخامسه»

مشكاة الانوار

١٤٦ «الرساله السادسه»

رساله الطير

١٥٣ «الرساله السابعه»

الرساله الى غزيت

✽ الرسالة الاولى ✽

الأدب في الدين

✽ للامام الهمام حجة الاسلام ✽

أبي هاشم محمد بن محمد الفزالي

✽ عليه الرحمة ✽



✽ طبعت على نفقة البعثة المنقبة عن الاسفار النفيسة ✽

محيي الدين صبري الكردى



✽ حقوق الطبع محفوظة ✽

المطبعة العربية بمصر شارع الزين بالمركى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلقنا فاكمل خلقنا * وأدبنا فأحسن أدبنا
وشرفنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأحسن تشريفنا * ثم أقول
وبالله التوفيق * ان أكمل الاخلاق وأعلاها * وأحسن الافعال
وأبهاها * هو الادب في الدين وما يقتدى به المؤمن من فعل رب
العالمين * واخلاق النبيين والمرسلين * وقد أدبنا الله تعالى في القرآن
بما أرانا فيه من البيان * وأدبنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في السنة
بما أوجب علينا فله المنة وكذلك الصحابة والتابعون ومن بعدهم
من أهل الأدب من المؤمنين بما أوجب علينا من الاقتداء بهم وذلك
جليل خطره كثير عدده نذكر بعضه لئلا يطول شرحه فيعسر فهمه *

✽ آداب ✽

✽ أدب المؤمن بين يدي الله تعالى ✽ اطراق الطرف وجمع الهم
ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة امتثال الأوامر واجتناب
المناهي وقلة الاعتراض وحسن الخلق ودوام الذكر وتنزيه الفكر

وتقييد الجوارح وسكون القلب وتعظيم الرب وقلة الغضب وكتان
الحب ودوام الاخلاص وترك النظر الى الاشخاص وايتار الحق
والاياس من جميع الخلق واخلاص العمل وصدق القول وتنزيه
الاطلاع واحياء القرب وقلة الاشارة وكتان الفائدة والغيرة على
تبديل الاسم والغضب عند انتهاك المحارم ودوام الهيبة واستشعار
الحياء واستعمال الخوف والسكون ثقة بالزمان والتوكل معرفة بحسن
الاختيار واسباغ الوضوء على المسكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة
وارتعاش القلب خوف فوت الفرض ودوام التوبة خوف الاصرار *
ودوام التصديق بما غاب * ووجل القلب عند الذكرو زيادة الانوار
عند الوعظ واستشعار التوكل عند الفاقة واخراج الصدقة من غير
بخل مع الامكان *

﴿ آداب العالم ﴾ لزوم العلم والعمل بالعلم ودوام الوقار ومنع
التكبر وترك الدعاء به والرفق بالمتعلم والتأني بالمتعجرف واصلاح
المسئلة للبليد وترك الانفة من قول لا أدري * وتكون همته عند
السؤال خلاصه من السائل لا خلاص السائل وترك التكلف واستماع
الحجة والقبول لها وان كانت من الخصم *

﴿ آداب المتعلم مع العالم ﴾ يبدوؤه بالسلام ويقل بين يديه الكلام
ويقوم له اذا قام ولا يقول له قال فلان خلاف ما قلت ولا يسأل جليسه
في مجلسه * ولا يتسم عند مخاطبته ولا يشير عليه بخلاف رأيه ولا
يأخذ بثوبه اذا قام ولا يستفهمه عن مسئلة في طريقه حتى يبالغ الى منزله

ولا يكثر عليه عند مله *

﴿ آداب المقرئ ﴾ يجلس جلسة الخشية واستماع الامر وانصات
الفهم وانتظار الرحمة والاصغاء الى المتشابه واشارة الوقف وتعريف
الابتداء وبيان الهمزة وتعليم العدد وتجويد الحرف وفائدة الخاتم
والرفق بالبادي والسؤال عن المتعلم اذا غاب والحث له اذا حضر
وترك الحديث ويبدأ بالمتلقن يلقنه ما يصلي لنفسه أو احتاج الى
ان يؤم غيره *

﴿ آداب القاري ﴾ يجلس بين يديه جلسة التواضع وجمع
الفهم وخفض الرأس والاستئذان قبل القراءة * ثم الاستعاذة
والتسمية والدعاء عند الفراغ *

﴿ آداب معلم الصبيان ﴾ يبدأ بصلاح نفسه فان أعينهم اليه
ناظرة وآذانهم اليه مصغية . فما استحسنه فهو عندهم الحسن * وما
استقبحه فهو عندهم القبيح * ويلزم الصمت في جلسته والشزر في
نظره ويكون معظم تأديبه بالرهبة ولا يكثر الضرب والتعذيب ولا
يحادثهم فيجترثوا عليه ولا يدعهم يتحدثون فينبسطون بين يديه
ولا يمازح بين أيديهم أحداً . ويتنزه عما يعطونه ويتورع عما بين
يديه يطرحوه يمنعه من التحريش ويكفهم من التفطيش * ويقبح
عندهم الغيبة ويوحش عندهم الكذب والنميمة * ولا يسألهم عن أمر
ينوبهم فيثقلوه * ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه * ويعلمهم الطهارة
والصلاة ويعرفهم بما يلحقهم من المنجاسة *

﴿ آداب المحدث ﴾ يقصد الصدق ويجتنب الكذب ويحدث
بالمشهور ويروي عن الثقات ويترك المناكير ولا يذكر ما جرى
بين السلف ويعرف الزمان ويتحفظ من الزلل والتصحيف واللحن
والتحريف ويدع المداعبة ويقل المشاغبة ويشكر النعمة اذ جعل في
درجة الرسول صلى الله عليه وسلم ويلزم التواضع ويكون معظم ما
يحدث به ما ينتفع المسلمون به من فرائضهم وسننهم وآدابهم في
معاني كتاب ربهم عز وجل ولا يحمل علمه الى الوزراء ولا يغشى
أبواب الامراء فان ذلك يزرى بالعلماء ويذهب بهاء علمهم اذا
حملوه الى ملوكهم ومياسيرهم ولا يحدث بما لا يعلمه في أصله ولا
يقرأ عليه ما لا يراه في كتابه ولا يتحدث اذا قرىء عليه ويحذر ان
يدخل حديثا في حديث

﴿ آداب طالب الحديث ﴾ يكتب المشهور ولا يكتب الغريب
ولا يكتب المناكير ويكتب عن الثقات ولا يغلبه شهرة الحديث
على قرينه ولا يشغله طلبه عن مروءته وصلاته يجتنب الغيبة
وينصت للسمع ويلزم الصمت بين يدي محدثه ويكثر التلفت عند
اصلاح نسخته ولا يقول سمعت وهو ما سمع ولا ينشره لطلب
العلو فيكتب من غير ثقة ويلزم أهل المعرفة بالحديث من أهل الدين
ولا يكتب عن من لا يعرف الحديث من الصالحين *

﴿ آداب الكاتب ﴾ حسن الخط وجودة البرى واعراب
اللفظ ومعرفة الحساب وسداد الرأي وحسن اللباس وطيب الرائحة

والمعرفة باخبار المتقدمين من الوزراء المتصرفين والتخوف من
المصادرات * والعلم بأمر الخراج والمسامحة والخبرة في السوادات *
وترك الانحرام والتنزه عن الحرام واستعمال المروءة وحسن العشرة
والتحفظ عن الذلة وترك الرفث في المجالس ونفي المداعبة والمحادثة
والمداورة للحاشية *

﴿ آداب الواعظ ﴾ ترك التكبر ودوام الحياء من سيده واظهار
الفاقة الى خالقه وشهوة المنفعة لمستمعه والازراء على نفسه لمعرفة
عيبه والنظر الى المستمعين اليه بعين السلامة وحسن الظن بهم بباطن
الديانة والا يأس منهم طلباً للصيانة والرفق بالتأديب والعطف على
المبتدى واعتقاد فعل ما يقول لينتفع الناس بما يقول *

﴿ آداب المستمع ﴾ اظهار الخشوع ودوام الخضوع وسلامة
الصدر وحسن الظن واعتقاد القول ودوام السكوت وقلة التقلب
وجمع الهم وترك التهمة *

﴿ آداب الناسك ﴾ يكون وقته معلوما وورده مفهوما وكلامه
مقسوما ودمعه مسجوما * دائما خشوعه لازما خضوعه غاضا لظرفه
عاقا لقلبه * مفكرا في دينه مراقبا لوقته مداوما لصومه ساهرا في
ليله متورعا في مسكنه متقللا في مطعمه ومشر به متوقعا لنزول أجله
مجانبا لقرنائه * تاركا لشهواته محافظا على صلواته عالما بزيادة حاله
ونقصانه * لا يحتاج الى علم غيره مع علمه بحاله

﴿ آداب اعتزال الناس ﴾ يكون فقيها في دينه عارفا بأمر

صلاته وصيامه وزكاته وحجه * يعتقد في اعتزالهم دفع شره عنهم
ويحضر الجمع والجماعات ويشهد الجنائز ويعود المرضى * ولا يخوض
في حديثهم ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم ولا يطمع نفسه في
نائلهم حتى لا يكون له حاجة الى جيرانه * تكون أوقاته ثلاثة
إما ان يصلي ويدرس فيغنى * أو ينظر في كتبه فيتعلم أو ينام فيسلم *
يدمن الذكر ويكثر الشكر حتى يتم له الامر * فان كان له أهل يتحدث
معههم ويجهده في خلوته حتى يرى ميزان عزلته *

﴿ آداب الصوفي ﴾ قلة الاشارة وترك الشطح في العبارة
والتمسك بعلم الشريعة ودوام الكد واستعمال الجد والاستيحاش
من الناس وترك الشهرة في اللباس وإظهار التجميل واستشعار
التوكل واختيار الفقر ودوام الذكر وكنان المحبة وحسن العشرة
في الصحبة والغض عن المردان وترك مؤاخاة النسوان ودوام
درس القرآن *

﴿ آداب الشريف ﴾ يصون شرفه ولا يأكل بنسبه ولا
يتعدى بحسبه * همته التواضع لربه والخوف من سيده ويأخذ
بالفضل على من دونه ولا يساوى من هو مثله * يعرف الفضل
لاهل العلم وان كان مثله في العلم أو أعلم * يلزم اهل الدين من
أهل الفقه والقرآن * ويهذب أخلاقه ويتحفظ في الفاظه عند غضبه
وخطابه يكرم جلساءه ويواصل اخوانه ويصون أقاربه ويعين جيرانه
ويزين بنفسه اخذانه *

﴿ آداب النوم ﴾ يتطهر قبل النوم وينام على يمينه ويذكر الله
عز وجل حتى يأخذه النوم ويدعو اذا استيقظ ويحمد الله تعالى *
﴿ آداب التهجد ﴾ تقليل الغذاء ونقصان الماء واصلاح النهار
باجتناب الغيبة والكذب واللغو وترك النظر الى المحرمات * والقيام
من النوم بفرع وخوف واسباغ الوضوء والنظر في ملكوت السموات
والدعاء والحضور في الصلاة لفهم التلاوة *

﴿ آداب الخلاء ﴾ التسمية ثم الاستعاذة قبل الدخول
وكشف الثوب برفق بعد قربه من الارض * ومسح اليد بالتراب
بعد الاستنجاء مع الغسل والاستتار قبل الخروج والحمد والشكر
بعد الخروج *

﴿ آداب الحمام ﴾ ستر العورة وغض البصر عن العورات
وطالب الخلوة وترك التكلم وقلة التلفت ومنع السلام * وقلة الجلوس
وغسل الجنابة من قبل الدخول وغسل القدمين اذا خرج بالماء البارد
فانه يذهب الصداع *

﴿ آداب الوضوء ﴾ السواك ودوام الذكر مع الغسل واستشعار
الهيبة ممن يقصد والتوبة مما كان والسكوت بعد الطهارة حتى يدخل
في الصلاة والطهارة في أثر الطهارة وأخذ الشارب وتنف الابط
وحلق العانة وتقليم الاظفار والاختتان * وغسل البراجم وتعاهد
الانف ونظافة الثوب والبدن *

﴿ آداب دخول المسجد ﴾ يبدأ باليمين ويزيل ما في نعله من

الاذى ويذكر اسم الله عز وجل ويسلم على من حضر فان كان خالياً سلم على نفسه ويسأل الله تعالى ان يفتح له أبواب رحمته ويجلس في مواجهة القبلة * ويلزم المراقبة ويقل المحاطبة ويترك الملاعنة * ولا يرفع فيه صوته ولا يشهر فيه سيفه ويمسك بنصال نبله ولا يصنع صنعة ولا ينشد ضالة ولا يبايع ولا يشارى ولا يمانع * فاذا انصرف بدأ باليسري وسأل الله تعالى من فضله ما يعطى *

﴿ آداب الاعتكاف ﴾ دوام الذكر وجمع الهم وترك الحديث ولزوم الموضع * وترك التنقلات وحبس النفس عن مرادها ومنعها من محابها وجبرها على طاعة الله عز وجل *

﴿ آداب الأذان ﴾ يكون المؤذن عارفاً بوقته في الصيف وفي الشتاء غاضاً لطرفه عند صعود المنارة ويلتفت في أذانه عند النداء بالصلاة والفلاح * ويرتل الأذان وينحدر في الإقامة

﴿ آداب الامام ﴾ يكون عارفاً بالصلاة وفرائضها وسننها فقيها بما يحدث له في صلاته وما يفسدها لا يؤم قوماً وهم له كارهون يجعل من يليه من أهل العلم ويأمرهم بتسوية الصفوف * ويشير اليهم بلطف * ولا يقرأ بطوال السور فيضجروا * ولا يطيل التسبيح فيملوا * ولا يخفف بحيث يفوت الكمال بل يرتب الصلاة على قدر قوة ضعفهم * ويتفرق في ركوعه وسجوده حتى يطمئنوا * ويسكت سكينة قبل الحمد وبعد الحمد واذا فرغ من السورة *

وينتظر في ركوعه من أحس به ما لم يحجف بمن وراءه وينتظر قبل الصلاة من فقد من جيرانه ما لم يخف فوت وقته * ويفرق بين التسليمتين بوقفة خفيفة * واذا فرغ نظر الى ستر الله عليه ومنته وازداد شكراً لسيده وأدام له في كل حالته الذكر *

﴿ آداب الصلاة ﴾ خفض الجناح ولزوم الخشوع وإظهار التذلّل وحضور القلب ونفي الوسواس وترك التقلب ظاهراً وباطناً وهدو الجوارح وإطراق الطرف ووضع اليمين على الشمال والتفكير في التلاوة والتكبير بالهيبة والركوع بالخضوع والسجود بالخشوع والتسبيح بالتعظيم والتشهد بالمشاهدة والتسليم بالاشفاق والانصراف بالخوف والسعي بطلب الرضاء *

﴿ آداب القراءة ﴾ مداومة الوقار والحياء ومجانبة العبث والخناء ولزوم التواضع والبكاء *

﴿ آداب الدعاء ﴾ خشوع القلب وجمع الهم وإظهار الذل وحسن النظر وخفض الجناح وسؤال الفاقة ولجأ الغريق ومعرفة بقدر نفسه وعظيم حرمة المسئول وبسط الكف عند الرغبة واليقين بالأجابة والخوف من الخيبة وانتظار الفرح وترك العدوان وصحة القصد واللجأ ومسح الوجه بباطن الكف بعد الدعاء *

﴿ آداب الجمعة ﴾ التأهب للوقت قبل دخوله والطهارة عند حضوره والبكور وغسل الجسد ونظافة الثوب وطيب الرائحة وترك التخطي وقلة الكلام ودوام الذكر والقرب من الامام والانصات

للخطيب والانتشار لطلب العلم والمشى بالسكينة والوقار وترك تشبيك الاصابع ويقارب الخطى * ودوام الاطراق وكثرة الشكر للرازق ودخول المسجد بالخشوع ورد السلام وترك الصلاة بعد جلوس الخطيب على المنبر * ورد السلام عليه بعد اشارته وترك الكلام واعتقاد القبول للموعظة وترك الالتفات عند اقباله ومخاطبته وترك القيام الى الصلاة حتى ينزل من المنبر ويفرغ المؤذن من الاقامة *

﴿ آداب الخطيب ﴾ يأتي المسجد وعليه السكينة والوقار * ويبدأ بالتحية ويجلس وعليه الهيبة ويمتنع من التخاطب وينتظر الوقت * ثم يخطو الى المنبر وعليه الوقار كأنه يجب أن يعرض ما يقول على الجبار * ثم يصعد بالخشوع ويقف على المرقاة بالخضوع * ويرتقي بالذكر ويلتفت الى مستمعيه باجماع الفكر * ثم يشير اليهم بالسلام ليستمعوا منه الكلام * ثم يجلس للاذان فزعا من الديان * ثم يخطب بالتواضع ولا يشير بالاصابع ويعتقد ما يقوله لينتفع به * ثم يشير اليهم بالدعاء وينزل اذا أخذ المؤذن في الاقامة * ولا يكبر حتى يسكتوا ثم يفتتح الصلاة ويرتل ما يقرأ *

﴿ آداب العيد ﴾ احياء ليلته والاعتساف في صبيحة يومه ونظافة البدن وطيب الرائحة وادامة التكبير وكثرة الذكر واستعمال الخشوع والتسبيح والحمد بين تضاعيف التكبير والانصات للخطبة بعد الصلاة وأكل اليسير قبل الخروج ان كان فطراً والذهاب في

طريق والرجوع في أخرى والانصراف بالاشفاق خوف الغيبة * ﴿ آداب الخسوف ﴾ دوام الفزع واظهار الجزع ومبادرة التوبة وترك الملل وسرعة القيام الى الصلاة وطول القيام فيها واستشعار الحذر *

﴿ آداب الاستسقاء ﴾ الصيام قبله وتقديم التوبة ورد المظالم وبذل الهمة وترك المفاخرة والاعتساف قبل الخروج ودوام الصمت ورؤية الحالة التي أوجبت المنع والاعتراف بالذنب الذي نزلت به العقوبة واعتقاد ترك العود والانصات للخطبة والتسبيح بين التكبير وكثرة الاستغفار وتحويل الازار مع الدعاء

﴿ آداب المريض ﴾ الا كثر من ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة ودوام الحمد والثناء لله واستعمال التضرع والدعاء واظهار العجز والفاقة والتداوي مع الاستعانة بخالق الدواء واظهار الشكر عند القوة وقلة الشكوى واكرام الجلساء وترك المصافحة *

﴿ آداب المعزى ﴾ خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم فانه يورث الحقد

﴿ آداب المشى مع الجنائز ﴾ دوام الخشوع وغض البصر وترك الحديث وملاحظة الميت بالاعتبار والتفكير فيما يجيب به من السؤال والعزم على المبادرة فيما يخاف به من المطالبة وخوف حسرة الفوت عند هجوم الموت

﴿ آداب المتصدق ﴾ ينبغي له اداؤها قبل المسألة واخفاء

الصدقة عند العطاء وكتانها بعد العطاء والرفق بالسائل ولا يبدؤه
برد الجواب ويرد عليه في الوسوسة ويمنع نفسه البخل ويعطيه ما
سأل أو يرده رداً جميلاً * فان عارضه العدو ابليس لعنه الله ان السائل
ليس يستحق فلا يرجع بما انعم الله به عليه بل هو مستحق لها *
﴿ آداب السائل ﴾ يبدي الفاقة بصدق الحقيقة ويظهر
السؤال بلطافة القول ويأخذ ما أعطى بمقابلة الشكر وان قل
وحسن الدعاء فان رد عليه رجع بحميل قبول العذر وترك المعاودة
والإلحاح .

﴿ آداب الغنى ﴾ لزوم التواضع ونفي التكبر ودوام الشكر
والتوصل الى اعمال البر والبشاشة بالفقير والاقبال عليه ورد السلام
على كل أحد واظهار الكفاية واطافة الكلمة وطيب المؤانسة
والمساعدة على الخيرات .

﴿ آداب الفقير ﴾ لزوم القناعة وكتان الفاقة وترك البذالة
والتضعض والقاء الطمع وايتار الصيانة واظهار الكفاية لاهل
المروءة من أهل الديانة واجلال الاغنياء مع قلة الاستبشار لهم *
واظهار الكفاية لهم مع الاياص منهم وترك التكبر عليهم مع نفي
التدلل وحفظ القلب عند رؤيتهم والتمسك بالدين عند مشاهدتهم
﴿ آداب المهدي ﴾ رؤية الفضل للمهدي اليه واظهار السرور
بالقبول لها * والشكر عند رؤية المهدي اليه والاستقلال لها وان
كثرت *

﴿ آداب المهدي اليه ﴾ اظهار السرور بها وان قلت والدعاء
لصاحبها اذا غاب والبشاشة اذا حضر والمكافاة اذا قدر والثناء
عليه اذا أمكن وترك الخضوع له والتحفظ من ذهاب الدين معه
ونفي الطمع ثانياً *

﴿ آداب اصطناع المعروف ﴾ البداءة قبل السؤال والمبادرة به
عند الوعد والتوقير له عند العطاء والستر له بعد الاخذ وترك المنة
بعد القبول والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه *

﴿ آداب الصيام ﴾ طيب الغذاء وترك المراء ومجانبة الغيبة ورفض
الكذب وترك الاذى وصون الجوارح عن القبائح .

﴿ آداب الحج ﴾

﴿ آداب الطريق ﴾ طيب النفقة والاحسان الى المكارى ومعاونة
الرفقة والرفق بالمنقطع وبذل الزاد وحسن الخلق وطيب الكلمة
والمزاح من غير معصية واختيار التعديل والاستبشار به عند رؤيته
والاصغاء عند محادثته وقلة المارة له عند ضجره والتغافل عن زلته
والشكر له عند خدمته والتوصل الى إيثاره ومساعدته .

﴿ آداب الاحرام ﴾ غسل الجسد ونظافة الازارين وطيب
الرائحة وتعاهد الجيع والتلبية بالهيبة ورفع الصوت بحلاوة
الاجابة والطواف بتعظيم الحرمة والسعي بطلب الرضاء والوقوف
بمشاهدة القيامة * وشهود المشعر برؤية الرحمة والخلق برؤية

العتق والذبح برؤية الكفارة والرمي برؤية الطاعة وطواف الزيارة بمشاهدة المرور وهو من غير حد والرد بحقيقة الاسف والانصراف بمحبة الرجوع *

﴿ آداب دخول مكة ﴾ دخول الحرم بالتعظيم والنظر الى مكة بالتحسر ورؤية المسجد بالفضيل ونظر البيت بالتكبير والتهليل ودوام الطواف ومواصلة العمرة ودخول البيت بتعظيم الحرم ودوام التوبة بعد دخوله *

﴿ آداب دخول المدينة ﴾ يدخلها بالوقار مع السكينة والمشاهدة لما كان فيها من الشريعة والنظر اليها بالعين الرفيعة ثم يأتي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومنبره كأنه مشاهد لصلاته وخطبته ثم يأتي قبره وكأنه ناظر الى شخصه الكريم ومخاطبته مع خفض الصوت بحضرته كأنه معاين لجلسته فيبدو بالسلام ثم يسلم على ضجيعيه ويشاهد محبتها له ومشيته بينهما واقباله عليهما * واذا ودع القبر فلا يوليه الظهر *

﴿ آداب التاجر ﴾ لا يجلس في طريق المسلمين فيضيق عليهم ويستعمل غلاما كئيبا لا يبخس في كيله ولا ينقص في وزنه يأمره بالرجحان وترك العجلة في الميزان يكون ميزان دراهمه في حدته كالطيّار ومن اعتداله كالمعيار طويلة خيوطه دقيقة ذوائبه معبرة صنجاته معتدلة حباته يبتدىء كل يوم بمسح ميزانه ويتعاهد نقص ارطاله وصنجاته يأمر غلامه بالتوقف في كيله الادهان واذا وقف

عليه شريف أكرمه أو جار فضله أو ضعيف رحمه أو غير هؤلاء انصفه * يبيع على قدر أسعاره ان نقص سعره زاد زبونه كما انه ان زاد سعره نقص زبونه وتكون همته في جلوسه درس القرآن وغض الطرف عن المحارم والغلمان يشتري عرضه باليسير من سفينة يقف عليه لا يرد السائل ولا يمنع البشر من النائل فان كان هو المتولي لامره كان ما يلزم غلامه هو اولى به ويشترى الارطال والصنجات والمكيال من الثقات معبرات ويترك المدح للساعة عند البيع والذم لها عند الشراء ويلزم الصدق عند الاخبار ويحذر الفحش عند المزايده والكذب عند المحادثة ويقل الخوض مع أهل الاسواق ومداعبة الاحداث ويقصر في الخصومات *

﴿ آداب الصيرفي ﴾ يعتقد الصحة ويؤدي الامانة ويحذر الرباء ويقرب النسب ولا ينفق الرديئة ويوفي الوزن ولا يعتقد الغش والغبن متفقد المعياره خائفا من نقصان صنجاته ومثاقيله *

﴿ آداب الصائغ ﴾ استعمال النصيحة والاجتهاد في الجودة وقلة المطلب ووفاء الوعد وترك التعدي في الاجرة *

﴿ آداب الاكل ﴾ غسل اليدين قبل الطعام وبعده والتسمية والاكل باليمين ومما يليه ويصغر اللقمة وإجادة المضغ وقلة النظر الى وجوه الحاضرين ولا يأكل متكئا ولا يأكل فوق الشبع وفوق الجوع ويعتذر اذا شبع حتى لا ينجس الضيف أو من به حاجة ويأكل من جوانب القصعة ولا يأكل من ذروتها ويلصق الاصابع

بعد الفراغ ويحمد الله ولا يذكر الموت عند الأكل ثلاثاً ينقص على الحاضرين *

﴿ آداب الشرب ﴾ ينظر في انائه قبل شربه ويسمي الله تعالى قبله ويحمده بعده ويمصه مصاً ولا يعبه عبا ويتنفس في شربه ثلاثاً يتبعه بالتحميد ويرد بالتسمية ولا يشرب قائماً ويناول من كان على يمينه ان كان معه غيره *

﴿ آداب الرجل اذا اراد النكاح ﴾ يطلب الدين ثم بعده الجمال والمال ان اراده ولا يشارط على ما ياتيه ولا يضمه ولا يخطب على خطبة أخيه ولا يأذن في املاكه وعرضه بما يباعده من ربه ويزريه ولا يجلس في خلواته حيث يرى غيره حرمة ولا يقبلها بين أهله وأهلها ويبدأها اذا خلا في سؤاله ولا يكون سفيره كذاباً ولا يخبر له نماماً بل من خاصتها ويسأله عن دينها هو ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها لصيامها وعن حياثها ونظافتها وحسن الفاظها وقبحها ولزوم عقربيتها وبرها بوالديها ويتلطف قبل العقد في النظر اليها وبعده بما يبلغها بالكلام الجميل ويبحث عن خصال والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها *

﴿ آداب المرأة اذا خطبها الرجل ﴾ تأمر من تأمن به من أهلها ان كان صدوقاً ان يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته في نفسه وصدقه في وعده وتنظر من قرباؤه ومن يغشاه في بيته وعن مواظبته على صلواته وجماعته ونصيحته في تجارته وصنعتة

ويكون رغبته في دينه دون ماله أو في سيرته دون شهرته تعزم معه على القناعة * وتكون لأوامره مطيعة فهو آكد للآفة وأثبت للمودة *

﴿ آداب الجماع ﴾ طيب الرائحة ولطافة الكلمة واطهار المودة وتقبيل الشهوة والتزام المحبة * ثم التسمية وترك النظر الى الفرج فانه يورث العمى والستر تحت الازار وترك استقبال القبلة *

﴿ آداب الرجل مع الزوجة ﴾ حسن العشرة ولطافة الكلمة واطهار المودة والبسط في الخلوة والتغافل عن الزلة واقالة العثرة وصيانة عرضها وقلة مجادلتها وبذل المؤنة بلا بخل لها واکرام أهلها ودوام الوعد الجميل وشدة الغيرة عليها

﴿ آداب المرأة مع زوجها ﴾ دوام الحياء منه وقلة المماراة له ولزوم الطاعة لأمره والسكون عند كلامه والحفظ له في غيبته وترك الخيانة في ماله وطيب الرائحة وتعهد الفم ونظافة الثوب واطهار القناعة واستعمال الشفقة ودوام الزينة واکرام أهله وقرابته ورؤية حاله بالفضل وقبول فعله بالشكر واطهار الحب له عند القرب منه واطهار السرور عند الرؤية له

﴿ آداب الرجل في نفسه ﴾ لزوم الجمعة والجمعة ونظافة الملبس وادامة السواك ولا يلبس المشهور ولا المحقور ولا يطيل ثيابه تكبراً ولا يقصرها تمسكاً ولا يكثر التلطف في مشيته ولا ينظر الى غير

حرمته ولا ييصق في حال محادثته ولا يكثر القعود على باب داره مع جيرانه ولا يكثر لاخوانه الحديث عن زوجته وما في بيته *
 ﴿ آداب المرأة في نفسها ﴾ لازمة لمنزلها قاعدة في قعر بيتها لا تكثر صعودها ولا اطلاعها الكلام لجيرانها ولا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تسربلها في نظره وتحفظه في غيبته ولا تخرج من بيته وان خرجت فمتخبئة تطالب المواضع الخالية مصونة في حاجاتها بل تتناكر ممن يعرفها همتها اصلاح نفسها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصومها ناظرة في عيبيها متفكرة في دينها دائمة صمتها غاضة طرفها مراقبة لربها كثيرة الذكر له طائعة لبعليها تحته على طلبة الحلال ولا تطلب منه الكثير من النوال ظاهرة الحياء قليلة الخناء صبور شكور مؤثرة في نفسها مواسية من حالها وقوتها واذا استأذن بياها صديق لبعليها وليس بعليها حاضراً لم تستفهمه ولا في الكلام تعاوده غيرة منها على نفسها وبعليها منه

﴿ آداب الاستئذان ﴾ المشى بجانب الجدار ولا يقابل الباب والتسبيح والتحميد قبل الدق والسلام بعده وترك السمع الى من في المنزل واستئذان بعد السلام فان أذن له والا رجع ولم يقف ولا يقول أنا بل يقول فلان اذا استفهم

﴿ آداب الجلوس على الطريق ﴾ غض البصر ونصر المظلوم واغاثة الملهوف واعانة الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل وترك التلفت والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق

واللطف فان أصر فبالرهبة والعنف ولا يصغي الى الساعي إلا بيينة ولا يتجسس ولا يظن بالناس الا خيراً *

﴿ آداب المعاشرة ﴾ اذا دخل مجلساً أو جماعة سلم وجلس حيث امتنع وترك التخطي وخص بالسلام من قرب منه اذا جلس وان بلي بمجالسة العامة ترك الخوض معهم ولا يصغي الى أراجيفهم ويتغافل عما يجري من سوء الفاظهم ويقلل اللقي لهم الا عند الحاجة ولا يستصغر أحداً من الناس فيهلك ولا يدري لعله خير منه وأطوع لله منه * ولا ينظر اليهم بعين التعظيم في دنياهم لان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ولا يعظم قدر الدنيا في نفسه فيعظم أهلها لاجلها فيسقط من عين الله ولا يبذل لهم دينه لينال من دنياهم فيصغر في أعينهم ولا يعاديهم فتظهر لهم العداوة ولا يطيق ذلك ولا يصبر عليه إلا أن تكون معاداة في الله عز وجل فيعادي أفعالهم القبيحة وينظر اليهم بعين الشفقة والرحمة ولا يشكر اليهم في مودتهم له واكرامهم إياه وحسن بشاشتهم في وجهه وثنائهم عليه فانه من طلب حقيقة ذلك لم يجده الا في الاقل وان سكن اليهم وكاه الحق اليهم فهلك ولا يطمع أن يكونوا له في الغيب كما هم له في العلانية فانه لا يجد ذلك أبداً ولا يطمع فيما في أيديهم فيذل لهم ويذهب دينه معهم ولا يتكبر عليهم * واذا سأل أحداً منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وان لم يقضها فلا يذمه فيكتسب عداوته ولا يعظ أحداً منهم الا أن يرى فيه أثر القبول والا عاداه ولم يسمع منه *

واذا رأى منهم خيراً أو كرامة أو ثناء فليرجع بذلك الى الله عز وجل ويحمده ويسأله أنه لا يكله اليهم * واذا رأى منهم شراً أو كلاماً قبيحاً أو غيبة أو شيئاً يكرهه فليكل الامر الى الله تعالى ويستعين به من شرهم ويستعينه عليهم ولا يعاتبهم فانه لا يجد عندهم للعتاب موضعاً ويصيرون له أعداء ولا يشفي غيظه بل يتوب الى الله تعالى من الذنب الذي به سخطهم عليه ويستغفر الله منه وليكن سميعاً لحقهم أصم عن باطلهم *

﴿ آداب الولد مع والديه ﴾ يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمثل لامرهما ويلبي دعوتهما ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة ولا يبرمهما بالاحاح ولا يمين عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر اليهما شزراً ولا يعصي لهما أمراً *

﴿ آداب الوالد مع أولاده ﴾ يعينهم على بره ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم ولا يمنعهم من طاعة ربه ولا يمين عليه بتربيته *

﴿ آداب الاخوان ﴾ الاستبشار بهم عند اللقاء والابتداء بالسلام والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس والتشجيع عند القيام والانصات عند الكلام وتكره المجادلة في المقال وحسن القول للحكايات وترك الجواب عند انقضاء الخطاب والنداء بأحب الاسماء *
﴿ آداب الجار ﴾ ابتداؤه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في مرضه ويعزيه عند مصيبتة ويهنيه في

فرحه ويتلطف لولده وعبيده في الكلام ويصفح عن زلاته ومعاتبته برفق عند هفوته ويغض عن حرمة ويعينه عند صرخته ولا يديم النظر الى خادمته *

﴿ آداب السيد مع عبده ﴾ لا يكلفه ما لا يطيق من خدمته ويرفق به عند ضجره ولا يكثر ضربه ولا يديم سبه فيجراً عليه ويصفح عن زلاته ويقبل معذرتة واذا أصاح له طعاماً أجلسه معه على مائدته أو أعطاه لقماً من طعامه *

﴿ آداب العبد مع سيده ﴾ يأتمر لامره وينصحه في غيبته ويبذل له خدمته ويحفظه في حرمة ويرزق على ولده ولا يخونه في ماله *

﴿ آداب السلطان مع الرعية ﴾ استعمال الرفق وترك التعنيف والفكر قبل الامر وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم والتودد الى العامة مع مزج الرهبة لهم والتطلع على أمور الحاشية واستعمال المروءة مع أهل العلم والتوسعة عليهم وعلى الاصحاب والاقارب والرفق في الجناية ودوام الحماية *

﴿ آداب الرعية مع السلطان ﴾ قلة الغشيان لبايه وترك الاستعانة به إلا شئ يلزم امره ودوام الهيبة له وان كان ذارفاً وترك الاستجراء عليه وإن كان ذا لين وقلة السؤال وإن كان مجيباً والدعاء له اذا ظهر وترك الكلام فيه والانشاد اذا غاب *

﴿ آداب القاضي ﴾ إيمان السكوت واستعمال الوقار وهدو

الجوارح ومنع الحاشية من الفساد والطغيان والرفق بالارامل والاحتياط لليتيم والتوقف في الجواب والرفق بالخصوم ومنع الميل الى أحد الخصمين والموعظة للمخالف ودوام اللجأ الى الله في صواب القضاء *

﴿ آداب الشاهد ﴾ استشعار الامانة وإظهار الصيانة واستعمال الديانة وترك الخيانة والتثبت في الشهادة والتحفظ من النسيان وقلة المجادلة للسلطان *

﴿ آداب الجهاد ﴾ صدق النية والغيرة لله تعالى وبذل الجهود والسخاء بالمهجة ونفي شهوة الرجوع والقصد في أن تكون كلمة الله هي العليا وترك الغلول وقضاء دينه قبل الخروج واستصحاب ذكر الله عند القتال وفي كل حال *

﴿ آداب الاسير ﴾ لا يؤمل فرجاً من غير الله تعالى ولا يذل نفسه في معصية الله تعالى ولا يئأس من روح الله تعالى ويجمع همه بين يدي الله تعالى ويعلم انه بعين الله ولا يذسب في مال العدو بما لا يبيحه الله ولا يفرغ الى غير الله تعالى *

﴿ آداب جامع ﴾

قال بعض الحكماء من الادب : الق صديقك وعدوك بوجه الرضاء من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر من غير كبر وكن في جميع أمورك في أوساطها ولا تنظر في عطفك ولا تنكسر الالتفات ولا تقف على الجماعات وإذا جلست فترفع وتحذر من تشبيك أصابعك

والعبث بخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وطرده الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتشاؤب وليكن مجلسك هادئاً وكلامك مقسوماً واصغ الى الكلام الحسن ممن يحدثك بغير اظهار عجب منك ولا مسكنة ولا إعادة وغض عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جارياتك ولا تتصنع كما تتصنع المرأة * ولا تتبذل كما يتبذل العبد * وكن معتدلاً في جميع أمورك وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن * ولا تلح في الحكايات ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم عن مالك فانهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم وإن رأوه كثيراً لم تبلغ الى رضاهم وأجبههم من غير عنف * وإن لهم من غير ضعف * وإذا خاصمت فتوقر * وتفكر في حجتك ولا تنكسر الاشارة بيدك * ولا تجث على ركبتيك * وإذا هدأ غضبك فتكلم وإن بليت بصحبة السلطان فكن منه على حذر * ولا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشاء * وإياك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه ولو كان مستمعاً لذلك * وإياك وصديق العافية فانه احدا لاعدائك ولا تجعل مالك اكرم عليك من عرضك * وإياك وكثرة البصاق بين الناس فان صاحبه ينسب الى التأنيث ولا تظهر لصديقك كل مايؤذيك فانه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة * ولا تمازح لبيداً فيحقد عليك * ولا سفيهاً فيجترى عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط المنزلة وينهب ماء الوجه ويعقب الحزن ويزيل حلاوة الود * يثير

فقه الفقيه * ويجري، السفية ويميت القلب ويساعد من الرب *
 ويعقب الدم * ويفسخ العزم * ويظلم السرائر * ويميت الخواطر *
 ويكثر الذنوب * ويبين العيوب * نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن
 هدى * ويعافينا فيمن عافى * ويتولانا فيمن تولى * ويبارك
 لنا فيما أعطى * ويقينا شر ما قضى * فانه لا اراد لما قضى
 ولا يعز من عادى * ولا يذل من والى * تبارك ربنا
 وتعالى * نستغفره ونتوب اليه * ونسأله أن
 يصلي بافضل الصلوات كلها على عبده
 المصطفى وعلى آله وأصحابه أعلام
 الهدى وسلم تسليما كثيرا والحمد
 لله رب العالمين وصلى
 الله على سيدنا محمد
 النبي الامين
 آمين

م



تمت الرسالة ويايها رسالة (أيها الولد) للامام الغزالي *

الرسالة الثانية

رسالة ايحيى الولد

للإمام الهمام حجة الاسلام *

أبي همام محمد بن محمد الغزالي

(عليه الرحمة)



طبع على نفقة البعثة المنقبة عن الأسفار النفيسة *

محيي الدين خير الدين



حقوق الطبع محفوظة *

المطبعة العصرية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي



الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * والصلاة والسلام
على نبيه محمد وآله أجمعين *

﴿ اعلم أن واحداً من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ الإمام
زين الدين حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي قدس
الله روحه * واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم عليه حتى جمع من
دقائق العلوم واستكمل من فضائل النفس * ثم انه تفكر يوماً
في حال نفسه وخطر على باله فقال * اني قرأت أنواعاً من
العلوم وصرفت ريعان عمري على تعلمها وجمعها فالآن ينبغي أن أعلم
أى نوعها ينفعني غداً ويؤانسني في قبري وأيهما لا ينفعني حتى
أتركه * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم اني أعوذ بك من
علم لا ينفع ﴾ فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب الى حضرة الشيخ حجة
الاسلام محمد الغزالي رحمه الله تعالى عالياً استفتاء وسأله مسائل والنس منه
نصيحة ودعاء * قال وان كان مصنفات الشيخ كالأحياء وغيره يشتمل
على جواب مسائل ليكن مقصودي أن يكتب الشيخ حاجتي في ورقات

تكون معي مدة حياتي وأعمل بما فيها مدة عمري ان شاء الله تعالى *
فكتب الشيخ هذه الرسالة اليه في جوابه والله أعلم *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اعلم ﴾ أيها الولد المحب العزيز أطال الله بقاءك بطاعته *
وسلك بك سبيل أحبائه أن منشور النصيحة يكتب من معدن
الرسالة عليه السلام ان كان قد بلغك منه نصيحة فاي حاجة
لك في نصيحتي وان لم يبلغك فقل لي ماذا حصلت في هذه
السنين الماضية *

﴿ أيها الولد ﴾ من جملة ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتمه قوله ﴿ علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وان
امراً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه
حسرتة * ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتهجر الى
النار ﴾ وفي هذه النصيحة كفاية لاهل العلم *

﴿ أيها الولد ﴾ النصيحة سهلة والمشكل قبولها لانها في مذاق
متبع الهوى مرة إذ المناهى محبوبة في قلوبهم على الخصوص لمن كان
طالب علم الرسمى مشغول في فضل النفس ومناقب الدنيا فانه
يحسب أن العلم المجرد له سيكون نجاته وخلاصه فيه وأنه مستغن
عن العمل وهذا اعتقاد الفلاسفة سبحانه الله العظيم لا يعلم هذا
القدر انه حين حصل العلم اذا لم يعمل به تكون الحجة عليه أكد
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أشد الناس عذاباً يوم القيامة

عالم لا ينفعه الله بعلمه * وروى ان الجنيد قدس الله سره رؤى في المنام بعد موته ف قيل له ما الخبر يا أبا القاسم قال طاحت تلك العبارات وفنيت تلك الاشارات وما نفعنا الا ركيعات ركنهاها في جوف الليل *

(أيها الولد) لا تكن من الاعمال مفلسا ولا من الاحوال خاليا وتيقن ان العلم المجرد لا يأخذ اليد مثاله لو كان على رجل في برية عشرة أسياف هندية مع أسلحة أخرى وكان الرجل شجاعا وأهل حرب فحمل عليه أسد عظيم مهيب فما ظنك هل تدفع الاسلحة شره عنه بلا استعمالها وضربها — ومن المعلوم انها لا تدفع الا بالتحريك والضرب * فكذا لو قرأ رجل مائة الف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده الا بالعمل * ومثله أيضا لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوي يكون علاجه بالسكنجبين والكشكات فلا يحصل البرء الا باستعمالها (شعر)

(كرمي دوهزار رطل همي پياڻي)

تامی نخوري نباشدت شیدائي (١)

ولو قرأت العلم مائة سنة وجمعت الف كتاب لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى الا بالعمل (وان ليس الانسان الا ما سعى)

(١) نعم ما ترجم به هذا البيت حضرة الاستاذ الفاضل الجليل مرشد

السالكين الشيخ محمد أمين الكردي النقشبندی فقال

لو کلت ألفی رطل خمر لم تكن * لتصير نشواناً اذا لم تشرب

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً جزاءه بما كانوا يكسبون) ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا ييغون عنها حولاً الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً وما تقول في هذا الحديث (بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً) والايان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان * ودليل الاعمال اكثر من ان يحصى وان كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه لكن بعد ان يستعد بطاعته وعبادته لان رحمة الله قريب من المحسنين * ولو قيل ايضاً يبلغ بمجرد الايمان * قلنا نعم لكن متى يبلغ؟ وكمن عقبة كؤودة ينتقلها الى ان يصل * اول تلك العقبات عقبة الايمان وانه هل يسلم من سلب الايمان ام لا واذا وصل يكون خائباً مفلساً * وقال الحسن البصري يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة ادخلوا يا عبادي الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم *

(أيها الولد) ما لم تعمل لم تجد الأجر (حكى) ان رجلاً من بني اسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله تعالى أن يجلوه على الملائكة فأرسل الله اليه ملكاً يخبره انه مع تلك العبادة لا يليق به دخول الجنة * فلما بلغه قال العابد نحن خلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبدك فلما رجع الملك قال إلهي أنت أعلم بما قال * فقال الله تعالى

إذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه أشهدوا
يا ملائكتي اني قد غفرت له * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
﴿ حاسبوا قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ﴾ وقال
علي رضي الله عنه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن *
ومن ظن انه ببذل الجهد يصل فهو مستغن * وقال الحسن رحمه
الله تعالى طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب * وقال علامة
الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق
من اتبع هواه ونمى على الله تعالى الاماني ﴾

﴿ أيها الولد ﴾ كم من ليال أحيتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب
وحرمت على نفسك النوم * لا أعلم ما كان الباعث فيه ان كان نيل
عرض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الاقران
والامثال فويل لك ثم ويل لك وان كان قصدك فيه احياء شريعة
النبي صلى الله عليه وسلم وتهذيب أخلاقك وكسر النفس الامارة
بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك * ولقد صدق من قال شعراً *

﴿ سهر العيون لغير وجهك ضائع

وبكاؤهن لغير فـدك باطل ﴾

﴿ أيها الولد ﴾ عش ماشئت فانك ميت وأحبب من شئت
فانك مفارقة واعمل ماشئت فانك مجزي به *

﴿ أيها الولد ﴾ أي شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام

والخلاف والطب والدواوين والاشعار والنجوم والعروض والنحو
والتصريف غير تضييع العمر بخلاف ذي الجلال * اني رأيت في
انجيل عيسى عليه الصلاة والسلام قال من ساعة أن يوضع الميت
على الجنائزة الى أن يوضع على شفير القبر يسأل الله بعظمته منه
أربعين سؤالاً * أوله يقول عبدي طهرت منظر الخلق سنين
وما طهرت منظرى ساعة وكل يوم ينظر في قلبك يقول ما تصنع
لغيري وأنت مخفوف بخيري أما أنت أصم لا تسمع *

﴿ أيها الولد ﴾ العلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون

﴿ واعلم ﴾ ان العلم لا يبعدك اليوم عن المعاصي ولا يحملك على
الطاعة ولن يبعدك غداً عن نار جهنم واذا لم تعمل اليوم ولم تدارك
الايام الماضية تقول غداً يوم القيامة فارجعنا نعمل صالحاً فيقال
يا أحمق أنت من هناك تجيء *

﴿ أيها الولد ﴾ اجعل الهمة في الروح والهزيمة في النفس والموت
في البدن لان منزلك القبر وأهل المقابر ينتظرونك في كل لحظة متى
تصل اليهم إياك إياك أن تصل اليهم بلا زاد * وقال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه هذه الاجساد قفص الطيور واصطبل الدواب فتفكر
في نفسك من أيهما أنت إن كنت من الطيور العلوية فحين تسمع
طنين طبل ارجعي الى ربك تطير صاعداً الى أن تقعد في أعالي بروج
الجنان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتز عرش الرحمن من
موت سعد بن معاذ والعياذ بالله إن كنت من الدواب كما قال الله

تعالى ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ فلا تأمن انتقالك من زاوية الدار الى هاوية النار وروى ان الحسن البصري رحمه الله تعالى أعطي شربة ماء بارد فأخذ القدح وغشي عليه وسقط من يده فلما أفاق قيل له مالك يا أبا سعيد قال ذكرت أمنيّة أهل النار حين يقولون لا هل الجنة أفيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله *

﴿ أيها الولد ﴾ لو كان العلم المجرد كافياً لك ولا تحتاج الى عمل سواء لكان نداء هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب ضائعاً بلا فائدة * وروى ان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ذكروا عبد الله بن عمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل هو لو كان يصلي بالليل وقال عليه الصلاة والسلام لرجل من اصحابه يا فلان لا تسكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة *

﴿ أيها الولد ﴾ ومن الليل فتهجد به أمر وبالاسحار هم يستغفرون شكر والمستغفرون بالاسحار ذكر * قال عليه السلام ثلاثة اصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت الذي يقرأ القرآن وصوت المستغفرين بالاسحار * قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى عليه ان الله تبارك وتعالى خلق ريحاً تهب بالاسحار تحمل الاذكار والاستغفار الى الملك الجبار * وقال ايضاً اذا كان اول الليل ينادى مناد من تحت العرش الا ليقم العابدون فيقومون ويصلون ما شاء الله * ثم ينادي مناد في شطر الليل الا ليقم القانتون فيقومون

ويصلون الى السحر فاذا كان السحر نادى مناد الا ليقم المستغفرون فيقومون ويستغفرون فاذا طلع الفجر نادى مناد الا ليقم الغافلون فيقومون من فروشهم كالموتى نشروا من قبورهم *

﴿ أيها الولد ﴾ روى في وصايا لقمان الحكيم لابنه انه قال يا بني لا يكونن الديك أ كيس منك ينادي بالاسحار وأنت نائم ولقد أحسن من قال شعراً

﴿ لقد هتفت في جنح ليل حمامة

على فنن وهنا واني انائم ﴾

﴿ كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً

لما سبقتني بالبكاء الحائم ﴾

﴿ وأزعم اني هائم ذو صباية

لربي فلا أبكي وتبكي البهائم ﴾

﴿ أيها الولد ﴾ خلاصة العلم أن تعلم أن الطاعة والعبادة ماهي ﴿ اعلم ﴾ ان الطاعة والعبادة متابعة الشارع في الاوامر والنواهي بالقول والفعل يعني كل ما تقول وتفعل وتترك يكون باقتداء الشرع كما لو صمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصياً أو صليت في ثوب مغصوب وان كانت صورة عبادة تأثم *

﴿ أيها الولد ﴾ ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة وينبغي لك أن لا تغتر بالشطح وطامات الصوفية لان سلوك هذا الطريق يكون

بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة لا بالطامات والترهات ﴿واعلم﴾ أن اللسان المطلق والقلب المطبق المملوء بالغفلة والشهوة علامة الشقاوة حتى لا تقتل النفس بصدق المجاهدة ان يحبي قلبك بأنوار المعرفة ﴿واعلم﴾ بان بعض مسائلك التي سألتني عنها لا يستقيم جوابها بالكتابة والقول ان تبلغ تلك الحالة تعرف ماهي والا فعلمها من المستحيلات لانها ذوقية وكل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول كحلالة الحلو ومرارة المر لا يعرف الا بالذوق كما حكى ان عنيينا كتب الى صاحب له ان عرفني لذة الجامعة كيف تكون فكتب له في جوابه يا فلان اني كنت حسبتك عنيينا فقط — الآن عرفت أنك عنيين وأحق — لان هذه اللذة ذوقية ان تصل اليها تعرف والا لا يستقيم وصفها بالقول والكتابة *

﴿أيها الولد﴾ بعض مسائلك من هذا القبيل وأما البعض الذي يستقيم له الجواب فقد ذكرناه في احياء العلوم وغيره ونذكر ههنا نبذاً منه ونشير اليه فنقول : قد وجب على السالك أربعة أمور * أول الامر اعتقاد صحيح لا يكون فيه بدعة * والثاني توبة نصوح لا يرجع بعدها الى الزلة * والثالث استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق * والرابع تحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدي به أوامر الله تعالى * ثم من العلوم الآخرة ما يكون به النجاة * حكى ان الشبلي رحمه الله خدم اربعائة أستاذ وقال قرأت اربعة آلاف حديث ثم اخترت منها حديثاً واحداً وعملت به وخلت

ماسواه لاني تأملتته فوجدت خلاصى ونجاتى فيه وكان علم الاولين والاخرين كله مندرجاً فيه فاكتمت به وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه ﴿اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها واعمل لله بقدر حاجتك اليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها﴾

﴿أيها الولد﴾ اذا علمت هذا الحديث لاحاجة الى العلم الكثير وتأمل في حكاية أخرى وذلك ان حاتم الاصم كان من أصحاب الشقيق البخاري رحمه الله تعالى عليهما فسأله يوماً قال صاحبتي منذ ثلاثين سنة ما حصلت فيها * قال حصلت ثمانى فوائد من العلم وهي تكفيني منه لاني أرجو خلاصى ونجاتى فيها فقال شقيق ماهي قال حاتم الاصم ﴿الفائدة الاولى﴾ اني نظرت الى الخلق فرأيت لكل منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه وبعض ذلك المحبوب يصاحبه الى مرض الموت وبعضه الى شفير القبر * ثم يرجع كله ويتركه فريداً وحيداً ولا يدخل معه في قبره منهم أحد فتفكرت وقلت افضل محبوب المرء ما يدخل في قبره ويؤانس فيه فما وجدته غير الاعمال الصالحة فاخذتها محبوباً لي لتكون سراجاً لي في قبري وتؤانسني فيه ولا تتركني فريداً ﴿الفائدة الثانية﴾ اني رأيت الخلق يقتدون بأهوائهم ويبادرون الى مرادات أنفسهم فتأملت قوله تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى﴾ وتيقنت ان القرآن حق صادق فبادرت الى خلاف نفسي وتشمرت

بمجاهدتها ومامتعتها بهواها حتى رضيت بطاعة الله سبحانه وتعالى
وانقادت ﴿الفائدة الثالثة﴾ اني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع
حطام الدنيا ثم يمسكها قابضاً يده عليه فتأملت في قوله تعالى ﴿ما عندكم
ينفد وما عند الله باق﴾ فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى
ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لي عند الله تعالى ﴿الفائدة
الرابعة﴾ اني رأيت بعض الخلق ظن شرفه وعزه في كثرة الاقوام
والعشائر فاغتر بهم * وزعم آخرون انه في ثروة الاموال وكثرة
الاولاد فافتخروا بها * وحسب بعضهم الشرف والعز في غصب
أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم * واعتقدت طائفة انه في
اتلاف المال واسرافه وتبذيره وتأملت في قوله تعالى ﴿ان اكرمكم
عند الله اتقاكم﴾ فاخترت التقوى واعتقدت ان القرآن حق صادق
وظنهم وحسبانهم كلها باطل زائل ﴿والفائدة الخامسة﴾ اني
رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ويعتاب بعضهم بعضاً فوجدت ذلك
من الحسد في المال والجاه والعلم فتأملت في قوله تعالى ﴿نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فعلمت ان القسمة كانت من الله
تعالى في الازل فما حسدت أحداً ورضيت بقسمة الله تعالى
﴿الفائدة السادسة﴾ اني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً لغرض
وسبب فتأملت قوله تعالى ﴿ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾
علمت انه لا يجوز عداوة أحد غير الشيطان ﴿والفائدة السابعة﴾
اني رأيت كل أحد يسعى بحمد ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش

بحيث يقع به في شبهة وحرام وينزل نفسه وينقص قدره فتأملت في
قوله تعالى ﴿وما من دابة في الارض الا على الله رزقها﴾ فعلمت
ان رزقي على الله تعالى وقد ضمنه فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعي
عن سواه ﴿الفائدة الثامنة﴾ اني رأيت كل واحد معتمداً الى شيء
مخلوق بعضهم الى الدنيا والدرهم وبعضهم الى المال والملك وبعضهم
الى الحرفة والصناعة وبعضهم الى مخلوق مثله فتأملت في قوله تعالى
(ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله
لكل شيء قدراً) فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل
فقال شقيق وفقك الله تعالى * اني قد نظرت التوراة والانجيل
اولزبور والفرقان فوجدت الكتب الاربعة تدور على هذه الفوائد
الثمانية فمن عمل بها كان عاملاً بهذه الكتب الاربعة *

﴿أيها الولد﴾ قد علمت من هاتين الحكايتين انك لا تحتاج الى
تكثير العلم والآن أبين لك ما يجب على سالك سبيل الحق ﴿فاعلم﴾
انه ينبغي للسالك شيخ مرشد مربى ليخرج الاخلاق السيئة منه
بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح
الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من بين الزرع ليحسن نباته
ويكمل ريعه ولا بد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده الى سبيل الله
تعالى لان الله أرسل للعباد رسولا للارشاد الى سبيله فاذا ارتحل
صلى الله عليه وسلم قد خلف الخلفاء في مكانه حتى يرشدوا الى الله تعالى *
وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائبا لرسول الله صلوات الله

وسلامه عليه أن يكون عالماً ولكن لا كل عالم يصلح للخلافة * واني
أبين لك بعض علامته على سبيل الاجمال حتى لا يدعى كل أحد أنه
مرشد فنقول من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه وكان قد تابع
اشخص بصير يتسلسل متابعته الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
وكان محسناً رياضته نفسه من قلة الاكل والقول والنوم وكثرة
الصلوات والصدقة والصوم وكان بمتابعته الشيخ البصير جاعلاً
محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين
والقناعة وطمانينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء
والوفاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها فهو اذا نور من أنوار
النبي صلى الله عليه وسلم يصلح للاقتداء به ولكن وجود مثله نادر أعز
من الكبريت الاحمر ومن ساعدته السعادة فوجد شيخاً كما ذكرنا
وقبله الشيخ ينبغي أن يحترمه ظاهراً وباطناً * أما احترام الظاهر
فهو أن لا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة وان علم
خطأه ولا يلتقي بين يديه سجادته الا وقت أداء الصلاة فاذا فرغ
يرفعها ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته ويعمل ما يأمره الشيخ
من العمل بقدر وسعه وطاقته * وأما احترام الباطن فهو أن كل
ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن لا فعلاً ولا قولاً
لئلا يتسم بالنفاق * وان لم يستطع يترك صحبتته الى أن يوافق باطنه
ظاهره * ويحترز عن مجالسة صاحب السوء ليقصر ولاية شياطين
الجن والانس من صحن قلبه فيصفي عن لوث الشيطنة * وعلى كل

حال يختار الفقير على الغنى * ثم اعلم * أن التصوف له خصلتان
الاستقامة والسكون عن الخلق فمن استقام وأحسن خلقه بالناس
وعاملهم بالحلم فهو صوفي والاستقامة أن يفدى حظ نفسه لنفسه *
وحسن الخلق مع الناس أن لا تحمل الناس على مراد مراد نفسك
بل تحمل نفسك على مرادهم مالم يخالفوا الشرع * ثم انك سألتني
عن العبودية وهي ثلاثة أشياء * (أحدها) * محافظة أمر الشرع
* (ثانيها) * الرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى * (وثالثها) * ترك
رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى * وسألتني عن التوكل هو
أن تستحكم اعتقادك بالله تعالى فيما وعد يعني تعتقد أن ما قدر لك
سيصل اليك لا محالة وان اجتهد كل من في العالم على صرفه
عنك ومالم يكتب ان يصل اليك وان ساعدك جميع العالم *
وسألتني عن الاخلاص وهو أن تكون أعمالك كلها لله تعالى ولا
يرتاح قلبك بمحامد الناس ولا تبالى بمذمتهم * (واعلم) * أن الرياء
يقول من تعظيم الخلق وعلاجه أن تراهم مسخرين تحت القدرة
وتحسبهم كالجنادات في عدم قدرة ايصال الراحة والمشقة لتخلص
من مرآياتهم * ومتى تحسبهم ذوى قدرة وارادة ان يبعد عنك
الرياء *

* أيها الولد * والباقي من مسائلك بعضها مسطور في
مصنفاتي فاطلبه ثمة وكتابة بعضها حرام عمل أنت بما تعلم لينكشف
لك مالم تعلم *

﴿ أيها الولد ﴾ بعد اليوم لا تسألني ما أشكل عليك الا بلسان الجنان قوله تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) واقبل نصيحة الخضر عليه السلام حين قال (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ولا تستعجل حتى تبلغ أو انه يكشف لك وتراه سأريكم آياتي فلا تستعجلون) فلا تسألني قبل الوقت وتيقن أنك لا تصل الا بالسير لقوله تعالى (أولم يسيروا في الارض فينظروا) *

﴿ أيها الولد ﴾ بالله إن تسر ترى العجائب في كل منزل وابذل روحك فان رأس هذا الامر بذل الروح كما قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى لاحد من تلامذته ان قدرت على بذل الروح فتعال والا فلا تشتغل بالترهات الصوفية *

﴿ أيها الولد ﴾ اني أنصحك بثمانية أشياء أقبلها مني لئلا يكون علمك خصما عليك يوم القيامة تعمل منها أربعة وتدع منها أربعة * أما اللواتي تدع ﴿ أحدها ﴾ أن لا تناظر أحدا في مسألة ما استطعت لان فيها آفات كثيرة فائتها اكبر من نفعها إذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها * نعم لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو قوم وكانت ارادتك فيها أن تظهر الحق ولا يضيع جاز البحث لكن لتلك الارادة علامتان ﴿ احدهما ﴾ أن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك ﴿ والثانية ﴾ أن يكون البحث في الخلاء أحب

إليك من أن يكون في الملام وأسمع اني أذكر لك ههنا فائدة ﴿ واعلم ﴾ أن السؤال عن المشكلات عرض مرض القلب الى الطبيب والجواب له سعي لا صلاح مرضه ﴿ واعلم ﴾ أن الجاهلين المرضى قلوبهم والعلماء الاطباء والعالم الناقص لا يحسن المعالجة والعالم الكامل لا يعالج كل مريض بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة والصلاح واذا كانت العلة مزمنة أو عقيمة لا تقبل العلاج فحداقة الطبيب فيه أن يقول هذا لا يقبل العلاج فلا تشتغل فيه بمداواته لان فيه تضيق العمر ﴿ ثم اعلم ﴾ أن مرض الجهل على أربعة أنواع ﴿ أحدها ﴾ يقبل العلاج والباقي لا يقبل أما الذي لا يقبل ﴿ أحدها ﴾ من كان سؤاله واعتراضه عن حسده وبغضه فكما نجيبه باحسن الجواب وأفصحه وأوضحه فلا يزيد له ذلك الا بغضا وعداوة وحسداً فالطريق أن لا تشتغل بجوابه فقد قيل *

﴿ كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك عن حسد ﴾ فينبغي أن تعرض عنه وتتركه مع مرضه * قال الله تعالى ﴿ فاعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ﴾ والحسود بكل ما يقول ويفعل يوقد النار في زرع علمه * الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴿ والثاني ﴾ أن تكون علتك من الحماقة وهو أيضا لا يقبل العلاج كما قال عيسى عليه السلام اني ما عجزت عن احياء الموتى وقد عجزت عن معالجة الاحق وذلك رجل يشتغل بطلب العلم زمنا قليلا ويتعلم شيئا من العلوم العقلية والشرعية فيسأل

ويعترض من حماقة على العالم الكبير الذي مضى عمره في العلوم العقلية والشرعية وهذا الاحق لا يعلم ويظن أن ما أشكل عليه هو أيضا مشكل للعالم الكبير فإذا لم يعلم هذا القدر يكون سؤاله من الحماسة * فينبغي أن لا يشتغل بجوابه * والثالث * أن يكون مسترشداً وكل ما لا يفهم من كلام الاكابر يحمل على قصور فهمه وكان سؤاله للاستفادة لكن يكون بليداً لا يدرك الحقائق فلا ينبغي الاشتغال بجوابه أيضا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نحن معاشر الانبياء امرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» * وأما المرض الذي يقبل العلاج فهو أن يكون مسترشداً عاقلاً فهما لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال ويكون طالب طريق المستقيم ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد وتعنت وامتحان وهذا يقبل العلاج فيجوز أن تشتغل بجواب سؤاله بل يجب عليك اجابته * والثاني مما تدع وهو ان تحذر وتحرز من أن تكون واعظاً ومذكراً لان فيه آفة كثيرة الا ان تعمل بما تقول أولاً ثم تعظ به الناس فتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي ربك وأن ابتليت بهذا العمل فاحترز عن خصلتين * الاولى * عن التكلف في الكلام بالعبارات والاشارات والطامات والايات والاشعار لان الله تعالى يبغض المتكلفين والمتكلف المتجاوز عن الحد يدل على خراب الباطن وغفلة القلب * ومعنى التذكير أن يذكر العبد نار الآخرة وتقصير

نفسه في خدمة الخالق ويتفكر في عمره الماضي الذي أفناه فيما لا يعنيه ويتفكر فيما بين يديه من العقبات من عدم سلامة الايمان في الخاتمة وكيفية حاله في قبض ملك الموت وهل يقدر على جواب منكر ونكير ويهتم بحاله في القيامة ومواقفها وهل يعبر عن الصراط سالماً أم يقع في الهاوية ويستمر ذكر هذه الاشياء في قلبه فيزعجه عن قراره فغليان هذه النيران ونوحه هذه المصائب يسمى تذكيراً واعلام الخلق واطلاعهم على هذه الاشياء وتنبههم على تقصيرهم وتفریطهم وتبصيرهم بعيوب أنفسهم لتمس حرارة هذه النيران اهل المجلس وتجزعهم تلك المصائب ليتداركوا العمر الماضي بقدر الطاقة ويتحسروا على الايام الخالية في غير طاعة الله تعالى * هذه الجملة على هذا الطريق يسمى وعظاً كما لو رأيت ان السيل قد هجم على دار أحد وكان هو وأهله فيها فتقول الحذر الحذر فروا من السيل وهل يشتهي قلبك في هذه الحالة أن تخبر صاحب الدار خبرك بتكلف العبارات والنكت والاشارات فلا تشتهي البتة فكذلك حال الواعظ فينبغي أن يجتنبها * والخصلة الثانية * أن لا تكون همتك في وعظك ان ينفر الخلق في مجلسك ويظهروا الوجد ويشقوا الثياب ليقال نعم المجلس هذا لان كله ميل للدنيا وهو يتولد من الغفلة بل ينبغي ان يكون عزمك وهمتك ان تدعو الناس من الدنيا الى الآخرة ومن المعصية الى الطاعة ومن الحرص الى الزهد ومن البخل الى السخاء ومن الغرور الى التقوى وتحجب اليهم الآخرة

وتبغض اليهم الدنيا وتعلمهم علم العباداة والزهد لان الغالب في طباعهم الزيف عن منهج الشرع والسعي فيما لا يرضى الله تعالى به والاستعثار بالاخلاق الرديئة فالق في قلوبهم الرعب وروعهم وحذرهم عما يستقبلون من المخاوف ولعل صفات باطنهم تتغير ومعاملة ظاهرهم تتبدل ويتظاهروا الحرص والرغبة في الطاعة والرجوع عن المعصية وهذا طريق الوعظ والنصيحة وكل وعظ لا يكون هكذا فهو وبال على من قال ويسمع بل قيل انه غول وشيطان يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم فيجب عليهم أن يفروا منه لان ما يفيد هذا القائل من دينهم لا يستطيع بمثله الشيطان ومن كانت له يد وقدره يجب عليه أن ينزله عن منابر المواعظ ويمنعه عما باشر فانه من جملة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ والثالث ﴾ مما تدع انه لا تخالط الامراء والسلاطين ولا تراهم لأن رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثنائهم لان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق والظالم ومن دعا لطول بقائهم فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ﴿ والرابع ﴾ مما تدع أن لا تقبل شيئا من عطاء الامراء وهداياهم وإن علمت أنها من الحلال لان الطمع منهم يفسد الدين لانه يتولد منه المداينة ومراعاة جانبهم والموافقة في ظلمهم وهذا كله فساد في الدين وأقل مضرته انك اذا قبلت عطاياهم وانتفعت من دنياهم أحببتهم ومن أحب أحدا يجب طول عمره وبقائه بالضرورة وفي محبة بقاء الظالم

ارادة في الظلم على عباد الله تعالى وارادة خراب العالم فأى شئ يكون أضر من هذا الدين والعاقبة وإياك وإياك أن يخذلك استهواء الشياطين أو قول بعض الناس لك بأن الافضل والاولى أن تاخذ الدينار والدرهم منهم وتفرقها بين الفقراء والمساكين فأنهم ينفقون في الفسق والمعصية وانفاقك على ضعفاء الناس خير من انفاقهم فان اللعين قد قطع أعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة وقد ذكرناه في احياء العلوم فاطلبه ثم * وأما الاربعة التي ينبغي لك أن تفعلها ﴿ الاول ﴾ أن تجعل معاملتك مع الله تعالى بحيث لو عامل معك بها عبدك ترضى بها منه ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب والذي لا ترضى لنفسك من عبدك المجازى فلا ترضى أيضا لله تعالى وهو سيدك الحقيقي ﴿ والثاني ﴾ كما عملت بالناس اجعله كما ترضى لنفسك منهم لانه لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لساير الناس ما يحب لنفسه ﴿ والثالث ﴾ اذا قرأت العلم أو طالعته ينبغي أن يكون علمك يصلح قلبك ويزكي نفسك كما لو علمت أن عمرك ما يبقى غير أسبوع فبالضرورة لا تشتغل فيها بعلم الفقه والاخلاق والاصول والكلام وأمثالها لانك تعلم أن هذه العلوم لا تغنيك بل تشتغل بمراقبة القلب ومعرفة صفات النفس والاعراض عن علائق الدنيا وتزكي نفسك عن الاخلاق الذميمة وتشتغل بمحبة الله تعالى وعبادته والاتصاف بالاوصاف الحسنة ولا يمر على عبد يوم وليلة الا ويمكن أن يكون موته فيه *

﴿ أيها الولد ﴾ اسمع مني كلاماً آخر وتفكر فيه حتى تجد خلاصاً * لو أنك أخبرت أن السلطان بعد أسبوع يختارك وزيراً ﴿ اعلم ﴾ أنك في تلك المدة لا تشغل إلا باصلاح ما علمت ان نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن والدار والفراش وغيرها والآن تفكر الى ما أشرت به فانك فهم والكلام الفرد يكفي * أليس قال رسول الله عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم * وان اردت علم احوال القلب فانظر الى الاحياء وغيره من مصنفاتي وهذا العلم فرض عين وغيره فرض كفاية إلا مقدار ما يؤدي به فرائض الله تعالى وهو يوفقك حتى تحصله ﴿ والرابع ﴾ أن لا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة كما كان رسول الله عليه السلام يعد ذلك لبعض حجراته وقال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً ولم يكن يعد ذلك لكل حجراته بل كان يعده لمن علم ان في قلبها ضعفاً وأما من كانت صاحبة يقين ما كان يعد لها أكثر من قوت يوم ونصف * ﴿ أيها الولد ﴾ اني كتبت في هذا الفصل ملتمساتك فينبغي لك أن تعمل بها ولا تنساني فيه من أن تذكرني في صالح دعائك * وأما الدعاء الذي سألت مني فاطلبه من دعوات الصحاح واقرا هذا الدعاء في اوقاتك خصوصاً أعقاب صلواتك * اللهم اني اسألك من النعمة تمامها ومن العصمة دوامها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها ومن العيش ارغده ومن العمر اسعده ومن الاحسان

أتمه ومن الانعام أعمه ومن الفضل أعذبه ومن اللطف أقرب به * اللهم كن لنا ولا تكن علينا * اللهم اختم بالسعادة آجالنا وحقق بالزيادة آمالنا واقرن بالعافية غدونا وأصالنا واجعل الى رحمتك مصيرنا وما لنا واصيب سجال عفوك على ذنوبنا ومن علينا باصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك اجتهدنا وعليك توكلنا واعتمادنا * اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة وأعذنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة وخفف عنا ثقل الاوزار وارزقنا عيشة الابرار واكفنا واصرف عنا شر الاشرار واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأخواتنا من النار برحمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار يا عليم يا جبار يا الله يا الله يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين ويا أول الاولين ويا آخر الآخرين ويا ذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين * والحمد لله رب العالمين



﴿ تمت رسالة أيها الولد ويلها ﴾ فيصل التفرقة « للامام الغزالي »

✽ الرسالة الثالثة ✽

فِيضُلُّ التَّفَرُّقَ بَيْنَ الْأَسْلَامِ وَالزُّنْدُقَةِ

✽ للإمام الهمام حجة الاسلام ✽

أبي هاشم محمد بن محمد الغزالي

✽ عليه الرحمة ✽

✽ طبعت على نفقة البعثة المنقبة عن الأسفار النفيسة ✽

بِحَيْثُ الدِّينِ خَيْرُ الْكَرِّيِّ

✽ حقوق الطبع محفوظة ✽

المطبعة العصرية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي



قال الامام العالم العامل أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
رحمة الله عليه : أحمد الله تعالى استسلاماً لعزته . واستتماماً لنعمته .
واستغناماً لتوفيقه ومعونته وطاعته . واستعصاماً من خذلانه
ومعصيته . واستدراجاً لسوايح نعمته . وأصلى على محمد عبده
ورسوله وخير خليفته . انقياداً لنبوته . واستجلاباً لشفاعته .
وقضاء لحق رسالته . واعتصاماً بيمين سريره ونقيبته . وعلى آله
وأصحابه وعترته ﴿ أما بعد ﴾ فاني رأيتك أيها الاخ المشفق
والصديق المتعصب موغراً الصدر . منقسم الفكر . لما قرع سمعك
من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار
معاملات الدين . وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب
المتقدمين . والمشايخ المتكلمين . وان العدول عن مذهب الاشعري
ولو في قيد شبر كفر ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر .
فهوّن أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك . لا تضيق به

صدرك . وفل من غربك قليلا . واصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرأ جميلا . واستحققر من لا يحسد ولا يقذف واستصغر
من بالكفر أو الضلال لا يعرف . فأى داع أكمل وأعقل من سيد
المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قالوا انه مجنون من المجانين . وأى
كلام أجل وأصدق من كلام رب العالمين . وقد قالوا انه أساطير
الاولين . وإياك أن تشتغل بخصامهم وتطمع في أخامهم . فتطمع في
غير مطعم . وتصوت في غير مسمع . أما سمعت ما قيل
كل العداوة قد ترجى سلامتها * الا عداوة من عاداك عن حسد
ولو كان فيه مطعم لأحد من الناس . لما تلى على أجلمهم رتبة
آيات اليأس . أو ما سمعت قوله تعالى (وان كان كبر عليك
اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء
فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)
وقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى
(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين) وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم
الملائكة و كلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا
الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) واعلم أن حقيقة الكفر
والايمان وحدهما والحق والضلال وسرهما . لا ينجلي للقلوب المدنسة
بطلب الجاه والمال وحبهما . بل انما ينكشف ذلك لقلوب طهرت

عن وسخ أو ضار الدنيا أولا ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانيا ثم
نورت بالذكر الصافي ثالثا ثم غذيت بالفكر الصائب رابعا ثم زينت
بملازمة حدود الشرع خامسا حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة .
وصارت كأنها مرآة مجلوة . وصار مصباح الايمان في زجاجة قلبه
مشرق الانوار . يكاد زيتة يضيء ولو لم تمسه نار * وأنى تتجلى
أسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم . ومعبودهم سلاطينهم . وقبلتهم
دراهمهم ودنانيرهم . وشريعتهم رعونتهم . وأرادتهم جاههم وشهواتهم
وعبادتهم خدمتهم أغنياءهم . وذكرهم وساوسهم . وكثرهم سواسهم .
وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم * فهؤلاء من أين تتميز
لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان . أباهام الهوى ولم يفرغوا القلوب
عن كدورات الدنيا لقبولها . أم بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة
النجاسة وماء الزعفران وأمثالهما * هيهات هيهات هذا المطلب أنفس
وأعز من أن يدرك بالمتى . أو ينال بالهوين . فاشتغل أنت بشأنك
ولا تضع فيهم بقية زمانك . وأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن
سبيله وهو أعلم بمن اهتدى *

فصل

فأما أنت ان أردت أن تنتزع هذه الحسكة من صدرك .
وصدر من هو في حالك . ممن لا تحركه غواية الحسود . ولا تقيدته

عماية التقليد . بل تعطشه الى الاستبصار لحزازة اشكال أثارها
فكر . وهيجهها نظر * فخطاب نفسك وصاحبك وطالبه بحمد الكفر
فان زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعري أو مذهب
المعتزلي أو مذهب الحنبلي أو غيرهم فاعلم انه غر بليد . قد قيده التقليد
فهو أعمى من العميان . فلا تضع باصلاحه الزمان * وناهيك حجة
في الحامه . مقابلة دعواه بدعوى خصومه . اذ لا يجد بين نفسه
وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلاً . ولعل صاحبه يميل من
بين سائر المذاهب الى الاشعري . ويزعم أن مخالفته في كل ورد
وصدر كفر من الكفر الجلي فاسأله من أين ثبت له أن كون الحق وقفاً
عليه حتى قضى بكفر الباقلاني اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم
أنه ليس هو وصفاً لله تعالى زائداً على الذات ولم صار الباقلاني أولى
بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني . ولم صار الحق
وقفاً على أحدهما دون الثاني * أكان ذلك لاجل السبق في الزمان فقد سبق
الاشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه . أم لاجل التفاوت
في الفضل والعلم . فبأي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح
له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده * فان رخص للباقلاني
في مخالفته فلم حجب على غيره . وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي
والقلانسي وغيرهم . وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة وان زعم
أن خلاف الباقلاني يرجع الى لفظ لا تحقيق وراءه كما تعسف
بتكلفه بعض المتعصبين زاعماً أنها جميعاً متوافقان على دوام الوجود

والخلاف في أن ذلك يرجع الى الذات أو الى وصف زائد عليه
خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي
في نفيه الصفات وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات
قادر على جميع الممكنات وانما يخالف الاشعري في أنه عالم وقادر
بالذات أو بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين وأى مطلب أجل
وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر في نفيها وإثباتها
فان قال إنما اكفر المعتزلي لانه يزعم أن الذات الواحدة تصدر
منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة
والحقائق المختلفة يستحيل أن توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات
الواحدة فما باله لا يستبعد من الاشعري قوله أن الكلام صفة زائدة
قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحداً هو توراة وانجيل وزبور
وقرآن وهو أمر ونهي وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف
لا وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك
الى الامر والنهي فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق اليها التصديق
والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات على شيء واحد فان
تخبط في جواب هذا أو عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم أنه ليس
من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد أن يسكت ويسكت عنه
لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلاً له كان مستتبعا
لا تابعا واماماً لا مأموماً فان خاض المقلد في الحاجة فذلك منه
فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد وطالب لصلاح

الفاسد — وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر — ولعلك ان انصفت علمت أن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض أقرب أما الكفر فلا أنه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الايمان الا بموافقته ولا يلزم الكفر الا بمخالفته وأما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر وان لا ترى في نظرك الا ما رأيت وكل ما رأيت حجة وای فرق بين من يقول قلدي في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدي في مذهبي ودليلي جميعاً وهل هذا الا التناقض

فصل

لعلك تشتهي أن تعرف حد الكفر بعد أن تتناقض عليك حدود أصناف المقلدين فاعلم أن شرح ذلك طويل ومدركة غامض ولكني أعطيك علامة صحيحة فتطردها وتعكسها لتتخذها مطمح نظرك وترعوى بسببها عن تكفير الفرق وتطويل اللسان في أهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ماداموا متمسكين بقول لا إله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما جاء به والايمان تصديقه في جميع ما جاء به فاليهودي والنصراني كافرين لتكذيبهما للرسول عليه الصلاة والسلام والبرهمي كافر بالطريق الاولى لانه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين والدهري كافر

بالطريق الاولى لانه أنكر مع رسولنا المرسل سائر الرسل وهذا لأن الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص وقد وردت النصوص في اليهود والنصارى والتحق بهم بالطريق الاولى البراهمة والثنوية والزنادقة والدهرية وكلهم مشركون فانهم مكذبون للرسول فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة

فصل

اعلم ان الذي ذكرناه مع ظهوره تحت غور بل تحته كل الغور لان كل فرقة تكفر مخالفاً وتنسبه الى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام فالحنبلي يكفر الاشعري زاعماً أنه كذب الرسول في اثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش. والاشعري يكفره زاعماً انه مشبه وكذب الرسول في أنه ليس كمثل شيء. والاشعري يكفر المعتزلي زاعماً أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم والقدرة والصفات له. والمعتزلي يكفر الاشعري زاعماً أن اثبات الصفات تكفير للقضاء وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه فيمكنك كشف لك غلو هذه الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضاً فأقول التصديق انما يتطرق الى الخبر بل الى الخبر وحقيقته

الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده
الا أن للوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة
مخالفها الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي وخيالي وعقلي
وشبهي فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام
عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق
فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر مثالها في التأويلات

أما الوجود الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس
والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمي أخذه ادراكا
وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر
بل هو المعروف الذي لا يعرف الا كثرون للوجود معنى سواء

وأما الوجود الحسي فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين
مما لا وجود له خارج العين فيكون موجوداً في الحس ويختص به
الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده
المريض المتيقظ إذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه
حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد
تتمثل للانبياء والاولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية
لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون
من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء
باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشراً سوياً) وكما انه عليه الصلاة
والسلام رأى جبريل عليه السلام كثيراً ولكن ما رآه في صورته

الامرتين وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها وكما يرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المنام وقد قال « من رآني في النوم فقد رآني
حقاً فان الشيطان لا يتمثل بي » ولا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه
من روضة المدينة الى موضع النائم بل هي على سبيل وجود صورته
في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه في بعض
الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبساً من
نار كأنه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطاً من نار
وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان
وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لان الموجود
في الخارج هي نقطة في كل حال وانما تصير خطاً في أوقات متعاقبة
فلا يكون الخط موجوداً في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك
في حالة واحدة

وأما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت
عن حسك فانك تقدر على ان تخترع في خيالك صورة فيل وفرس
وان كنت مغمضاً عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال
صورته في دماغك لا في الخارج

وأما الوجود العقلي فهو أن يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى
فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن يثبت صورته في خيال أو حس
أو خارج كاليد مثلاً فان لها صورة محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو
حقيقتها وهي القدرة على البطش والقدرة على البطش هي اليد العقلية

وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير أن يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية

وأما الوجود الشبهى فهو أن لا يكون نفس الشيء موجوداً لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا إذا ذكرت لك مثاله في التأويلات فهذه مراتب وجود الأشياء

فصل

اسمع الآن أمثلة هذه الدرجات في التأويلات * أما الوجود الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذى يجرى على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقى وذلك كإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع فانه يجرى على ظاهره ولا يتأول إذ هذه أجسام موجودة فى أنفسها أدركت بالحس والخيال أو لم تدرك

وأما الوجود الحسى فأمثله فى التأويلات كثيرة وأقنع منها بمثالين :

أحدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار» فان من قام

عنده البرهان على ان الموت عرض أو عدم عرض وأن قلب العرض جسماً مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على أن أهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجوداً فى حسهم لا فى الخارج ويكون سبباً لحصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك إذ المذبح مئوس منه ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد أن نفس الموت ينقلب كبشاً فى ذاته ويذبح

المثال الثانى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرضت على الجنة فى عرض هذا الحائط» فمن قام عنده البرهان على أن الأجسام لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على أن نفس الجنة لم تنتقل الى الحائط لكن تمثل للحس صورتها فى الحائط حتى كأنه يشاهدها ولا يمتنع ان يشاهد مثال شيء كبير فى جرم صغير كما تشاهد السماء فى مرآة صغيرة ويكون ذلك إبصاراً مفارقاً لمجرد تخيل صورة الجنة إذ تدرك التفرقة بين أن ترى صورة السماء فى المرآة وبين أن تغمض عينيك فتدرك صورة السماء فى المرآة على سبيل التخيل وأما الوجود الخيالى فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم «كأنى أنظر الى يونس بن متى عليه عباتان قطوانيتان يلبي وتجييه الجبال والله تعالى يقول له لبيك يا يونس» والظاهر أن هذا انباء عن تمثيل الصورة فى خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقاً على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجوداً فى الحال ولا يبعد أن يقال أيضاً تمثل هذا فى حسه حتى صار يشاهده كما

يشاهد النائم الصور ولكن قوله كأنى أنظر يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والغرض التفهيم بالمثل لأعين هذه الصورة وعلى الجملة فكل ما يتمثل في محل الخيال فيتصور أن يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل *

وأما الوجود العقلي فأمثله كثيرة فاقنع منها بمثالين :

أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم «آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا» فإن ظاهر هذا يشير إلى أنه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسي والخيالي ثم قد يتعجب فيقول إن الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الأخبار فكيف تقسم السماء لعشرة أمثال الدنيا والسماء أيضاً من الدنيا وقد يقطع المتأول هذا التعجب فيقول المراد به تفاوت معنوي عقلي لا حسي ولا خيالي كما يقال مثلاً هذه الجوهرة أضعاف الفرس أي في روح الماينة ومعناها المدرك عقلاً دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل *

المثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى خر طينة آدم بيده أربعين صباحاً» فقد أثبت لله تعالى يداً ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هي جارحة محسوسة أو متخيلة فإنه يثبت لله سبحانه يداً روحانية عقلية أعني أنه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها * إن روح اليد ومعناها ما به يبطش ويفعل

ويعطى ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه الصلاة والسلام «أول ما خلق الله العقل فقال بك أعطى وبك أمنع» ولا يمكن أن يكون المراد بذلك العقل عرضاً كما يعتقد المتكلمون إذ لا يمكن أن يكون العرض أول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلاً من حيث يعقل الأشياء بجوهره وذاته من غير حاجة إلى تعلم وربما يسمى قلماً باعتبار أنه تنقش به حقائق العلوم في الواح قلوب الأنبياء والأولياء وسائر الملائكة وحياً وإلهاماً فإنه قد ورد في حديث آخر أن أول ما خلق الله تعالى القلم فإن لم يرجع ذلك إلى العقل تناقض الحديثان ويجوز أن يكون لشيء واحد أسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلاً باعتبار ذاته وملسكاً باعتبار نسبته إلى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلماً باعتبار إضافته إلى ما يصدر منه من نقش العلوم بالإلهام والوحي كما يسمى جبريل روحاً باعتبار ذاته وأميناً باعتبار ما أودع من الأسرار وذا مرة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكيناً عند ذى العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعاً باعتبار كونه متبوعاً في حق بعض الملائكة وهذا القائل يكون قد أثبت قلماً ويداً عقلياً لا حسيّاً وخيالياً وكذلك من ذهب إلى أن اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون *

وأما الوجود الشبهي فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فإن الغضب مثلاً حقيقته أنه

غليان دم القلب لارادة التشفي وهذا لا ينفك عن نقصان وألم فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتاً ذاتياً وحسياً وخيالياً وعقلياً نزل على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كإرادة العقاب والارادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته ولكن في صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الإيلام فهذه درجات التأويلات *

فصل

اعلم ان كل من نزل قولاً من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين وإنما التكذيب ان ينفي جميع هذه المعاني ويزعم ان ما قاله لا معنى له وإنما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة ولا يلزم كفر المأولين ما داموا يلزمون قانون التأويل كما سنشير اليه وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الاسلام الا وهو مضطرب اليه فابعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل رحمه الله عليه وابعده التأويلات عن الحقيقة وأغربها ان تجعل الكلام مجازاً أو استعارة وهو الوجود العقلي والوجود الشبهي والحنبلي مضطرب اليه وقائل به فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة يبعدون ان أحمد بن حنبل رحمه الله صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط . أحدها قوله صلى الله عليه وسلم «الحجر الاسود يمين

الله في الارض» . والثاني قوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم اني لا جد نفس الرحمن من قبل اليمين» فانظر الآن كيف أول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول اليمين تقبل في العادة تقرباً الى صاحبها والحجر الاسود يقبل ايضاً تقرباً الى الله تعالى فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسمى لذلك يميناً وهذا الوجود هو الذي سميناه الوجود الشبهي وهو ابعد وجوه التأويل فانظر كيف اضطر اليه أبعاد الناس عن التأويل وكذلك لما استحال عنده وجود الأصبعين لله تعالى حساً اذ من فتش عن صدره لم يشاهد فيه أصبعين فتأوله على روح الأصبعين وهي الاصبع العقلية الروحانية أعني ان روح الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان وبها يقلب الله تعالى القلوب فيكنى بالأصبعين عنهما وإنما اقتصر أحمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا في هذا القدر لانه لم يكن ممعناً في النظر العقلي ولو أمعن اظهر له ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله * والاشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة * وأقرب الناس الى الحنابلة في أمور الآخرة الاشعرية وفقهم الله فانهم قرروا فيها أكثر الظواهر الا يسيراً * والمعتزلة أشد منهم توغلاً في التأويلات وهم مع هذا —

اعنى الاشعرية — يضطرون أيضا الى تاويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يؤتى بالموت في صورة كبش أملح وكما ورد في وزن الاعمال بالميزان فان الاشعري أول وزن الاعمال فقال توزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها أوزانا بقدر درجات الاعمال وهذا رد الى الوجود الشبهى البعيد فان الصحائف أجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على أعمال هي أعراض فليس الموزون اذاً العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل . والمعتزلى تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهو أبعد عن التعسف في التأويل بوزن الصحائف وليس الغرض تصحيح أحد التأويلين بل أن تعلم ان كل فريق وإن بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر الى التأويل إلا أن يجاوز الحد في الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا . والموت وان كان عرضا يستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب . والاعمال وان كانت أعراضا وقد عدت فتنتقل الى الميزان ويكون فيها أعراض هي الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انحلع من ربة العقل

فصل

فاسمع الآن قانون التأويل: فقد علمت اتفاق الفرق على هذه الدرجات الخمس في التأويل وان شيئاً من ذلك ليس من حيز التكذيب واتفقوا أيضا على أن جواز ذلك موقوف على قيام

البرهان على استحالة الظاهر والظاهر الاول هو الوجود الذاتى فانه اذا ثبت تضمن الجميع فان تعذر فالوجود الحسى فانه ان ثبت تضمن ما بعده فان تعذر فالوجود الخيالى أو العقلى وان تعذر فالوجود الشبهى المجازي ولا رخصة للعدول عن درجة الى مادونها الا بضرورة البرهان فيرجع الاختلاف على التحقيق الى البراهين: اذ يقول الحنبلى لا برهان على استحالة اختصاص البارى بجهة فوق ويقول الاشعري لا برهان على استحالة الرؤية وكان كل واحد لا يرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلا قاطعا . وكيف ما كان فلا ينبغي أن يكفر كل فريق خصمه بأن يراه غالطاً في البرهان نعم يجوز ان يسميه ضالا أو مبتدعا . اما ضالا فمن حيث انه ضل عن الطريق عنده . واما مبتدعا فمن حيث انه ابتدع قولاً لم يعهد من السلف الصالح التصريح به اذ المشهور فيما بين السلف ان الله تعالى يرى . فقول القائل لا يرى بدعة وتصريحه بتأويل الرؤية بدعة بل ان ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب فينبغي ان لا يظهره ولا يذكره لان السلف لم يذكره لكن عندها يقول الحنبلى اثبات الفوق لله تعالى مشهور عند السلف ولم يذكر احد منهم ان خالق العالم ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا ولا داخلا ولا خارجا وان الجهات الست خالية عنه وان نسبة جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت . فهذا قول بدع اذ البدعة عبارة عن احداث مقالة غير مأثورة عن السلف وعند هذا يتضح لك ان ههنا مقامين :

أحدهما مقام عوام الخلق . والحق فيه الاتباع والكف عن
تغيير الظواهر رأساً والخذر عن ابداع التصريح بتأويل لم تصرح
به الصحابة وحسم باب السؤال رأساً والزجر عن الخوض في
الكلام والبحث واتباع ما تشابه من الكتاب والسنة كما روى
عن عمر رضى الله عنه انه سأل سائل عن آيتين متعارضتين فعلاه
بالدرة وكما روى عن مالك رحمه الله انه سئل عن الاستواء فقال
الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال
عنه بدعة

المقام الثانى بين النظار الذين اضطربت عقائدهم بالمأثورة المروية
فينبغي أن يكون بحسبهم بقدر الضرورة وتركهم الظاهر بضرورة
البرهان القاطع ولا ينبغي أن يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غلطاً فيما
يعتقده برهاناً فان ذلك ليس أمراً هيناً سهل المدرك وليكن للبرهان
بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان
لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن وقد ذكرنا الموازين الخمسة في
كتاب (القسطاس المستقيم) وهى التى لا يتصور الخلاف فيها بعد
فهمها أصلاً بل يعترف كل من فهمها بأنها مدارك اليقين قطعاً
والمحصلون لها يسهل عليهم عقد الانصاف والانتصاف وكشف
الغطاء ورفع الاختلاف ولكن لا يستحيل منهم الاختلاف أيضاً
إما لقصور بعضهم عن إدراك تمام شروطه وإما في رجوعهم في
النظر الى محض القرينة والطبع دون الوزن بالميزان كالذي يرجع

بعد تمام تعلم العروض في الشعر الى الذوق لاستثقاله عرض كل شعر
على العروض فلا يبعد أن يغلط . وإما لاختلافهم في العلوم التى هى
مقدمات البراهين فان من العلوم التى هى أصول البراهين تجريبية
وتواترية وغيرها والناس يختلفون في التجربة والتواتر فقد يتواتر
عند واحد ما لا يتواتر عند غيره وقد يتولى تجربة ما لا يتولاه غيره
وإما لالتباس قضايا الوهم بقضايا العقل . وإما لالتباس الكلمات
المشهورة المحمودة بالضروريات والاوليات كما فصلنا ذلك في
كتاب (محك النظر) . ولكن بالجملة اذا حصلوا تلك الموازين
وحققوها أمكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر

فصل

من الناس من يبادر الى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان
قاطع ولا ينبغي أن يبادر أيضاً الى كفره في كل مقام بل ينظر فيه
فان كان تأويله في أمر لا يتعلق باصول العقائد ومهماتها فلا نكفره
وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل عليه السلام
الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربي غير ظاهرها بل هى جواهر
نورانية ملكية ونورانية عقلية لاحسية ولها درجات في الكمال
ونسبة ما بينها في التفاوت كنسبة الكوكب والقمر والشمس ويستدل
عليه بأن الخليل عليه السلام أجل من أن يعتقد في جسم انه اله حتى
يحتاج الى أن يشاهد أفوله أفترى انه لو لم يأفل أ كان يتخذها لها

ولو لم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسماً مقدراً . واستدل
بأنه كيف يمكن أن يكون أول مارآه الكوكب والشمس هي الاظهر
وهي أول ما يرى . واستدل بأن الله تعالى قال أولاً (وكذلك نرى
ابراهيم ملكوت السموات والارض) ثم حكى هذا القول فكيف
يمكن أن يتوهم ذلك بعد كشف الملكوت له وهذه دلالات ظنية
وليست براهين

أما قوله هو أجل من ذلك فقد قيل انه كان صبياً لما جرى له
ذلك ولا يبعد أن يخطر لمن سيكون نبياً في صباه مثل هذا الخاطر
ثم يتجاوز به على قرب ولا يبعد أن تكون دلالة الاقول على الحدوث
عنده أظهر من دلالة التقدير والجسمية

وأما رؤية الكوكب أولاً فقد روى انه كان محبوساً في صباه
في غار وإنما خرج بالليل

وأما قوله تعالى أولاً (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض) فيجوز أن يكون الله تعالى قد ذكر حال نهايته ثم رجع
إلى ذكر بدايته فهذه واما لهاظنون يظنها براهين من لا يعرف حقيقة
البرهان وشرطه فهذا جنس تأويلهم وقد تأولوا العصا والنعلين في
قوله تعالى (اخلع نعليك) وقوله (وألق ما في يمينك) ولعل
الظن في مثل هذه الامور التي لا تتعلق باصول الاعتقاد يجري مجرى
البرهان في اصول الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع نعم ان كان فتح
هذا الباب يؤدي الى تشويش قلوب العوام فيبدع به خاصة صاحبه

في كل ما لم يؤثر عن السلف ذكره: ويقرب منه قول بعض الباطنية
ان عجل السامري مؤول اذ كيف يخلو خلق كثير عن عاقل يعلم
ان المتخذ من الذهب لا يكون الها وهذا ايضاً ظن اذ لا يستحيل
ان تنتهي طائفة من الناس اليه كعبدة الاصنام وكونه نادراً
لا يورث يقيناً

وأما ما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة فيجب
تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر
الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام
واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعياً اذ لا
برهان على استحالة رد الارواح الى الاجساد وذكر
ذلك عظيم الضرر في الدين فيجب تكفير كل من تعاق به وهو
مذهب اكثر الفلاسفة: وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله
تعالى لا يعلم الا نفسه أو لا يعلم الا الكليات فأما الامور الجزئية
المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله
عليه وسلم قطعاً وليس من قبيل الدرجات التي ذكرناها في التأويل
اذ ادلة القرآن والاخبار على تفهيم حشر الاجساد وتفهم تعاق علم
الله تعالى بتفصيل كل ما يجري على الاشخاص مجاوز حداً لا يقبل
التأويل وهم معترفون بأن هذا ايسر من التأويل ولكن قالوا لما
كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقولهم
عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في ان يعتقدوا ان الله تعالى عالم

بما يجري عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم
جاز للرسول عليه السلام ان يفهمهم ذلك وليس بكاذب من اصلح
غيره فقال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله وهذا القول باطل قطعاً
لانه تصريح بالتكذيب ثم طلب عذراً في انه لم يكذب ويجب
اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق
به مندوحة عن الكذب وهذه اول درجات الزندقة وهي رتبة
بين الاعترال وبين الزندقة المطلقة فان المعتزلة يقرب منهاجهم من
مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو ان المعتزلي لا يجوز
الكذب على الرسول عليه السلام بمثل هذا العذر بل يؤول الظاهر
مهما ظهر له بالبرهان خلافه . والفلسفي لا يقتصر على مجاوزته للظاهر
على ما يقبل التأويل على قرب او على بعد
واما الزندقة المطلقة فهو ان تنكر اصل المعاد عقلياً وحسيماً وتنكر
الصانع للعالم أصلاً ورأساً

وأما اثبات المعاد بنوع عقلي مع نفى الآلام واللذات الحسية
واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل العلوم فهي زندقة مقيدة بنوع
اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظني - والعلم عند الله - أن
هؤلاء هم المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام «ستفترق أمتي بضعاً
وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة» هذا لفظ الحديث
في بعض الروايات وظاهر الحديث يدل على أنه أراد به الزنادقة
من أمتهم إذ قال ستفترق أمتي ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمتهم

والذين ينكرون أصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته
إذ يزعمون أن الموت عدم محض وأن العالم لم يزل كذلك موجوداً
بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون
الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة فاذاً لا معنى لزندقة
هذه الامة الا ما ذكرناه

فصل

اعلم أن شرح ما يكفر به وما لا يكفر به يستدعي تفصيلاً
طويلاً يقتصر الى ذكر كل المقالات والمذاهب وذكر شبهة كل واحد
ودليله ووجه بعده عن الظاهر ووجه تأويله وذلك لا يحويه مجلدات
ولا تتسع لشرح ذلك أوقاتى فاقنع الآن بوصية وقانون
أما الوصية فان تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما
داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها
والمناقضة تجوزهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر
أو غير عذر فان التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه
وأما القانون فهو أن تعلم أن النظريات قسمان قسم يتعلق
باصول القواعد وقسم يتعلق بالفروع . وأصول الايمان ثلاثة الايمان
بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع . وأعلم أنه لا تكفير
في الفروع أصلاً الا في مسألة واحدة وهي أن ينكر أصلاً دينياً علم
من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر لكن في بعضها تخطئة كما في

الفقهيات وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة وأحوال الصحابة.
واعلم أن الخطأ في أصل الامامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها
لا يوجب شيء منه تكفيراً فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب
الامامة ولا يلزم تكفيره ولا يلتفت الى قوم يعظمون أمر
الامامة ويجعلون الايمان بالامام مقروناً بالايمان بالله وبرسوله ولا
الى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الامامة فكل ذلك
إسراف اذ ايس في واحد من القولين تكذيب للرسول صلى الله
عليه وسلم أصلاً ومهما وجد التكذيب وجب التكفير وان كان في
الفروع فلو قال قائل مثلاً البيت الذي بمكة ليس الكعبة التي أمر
الله تعالى بحجها فهذا كفر اذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم خلافه ولو أنكر شهادة الرسول لذلك البيت بانه
الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعاً أنه معاند في انكاره الا أن
يكون قريب عهد بالاسلام ولم يتواتر عنده ذلك وكذلك من
نسب عائشة رضي الله عنها الى الفاحشة وقد نزل القرآن ببراءتها
فهو كافر لان هذا وأمثاله لا يمكن الا بتكذيب الرسول أو انكار
التواتر والتواتر ينكره الانسان بلسانه ولا يمكنه ان يهله بقلبه نعم
لو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو أنكر ما
ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه
غموض يعرفه المحصلون لعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع
حجة أصلاً فصار كون الاجماع حجة مختلفاً فيه فهذا حكم الفروع

وأما الاصول الثلاثة وكل ما لم يحتمل التأويل في نفسه وتواتر
نقله ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب
محض ومثاله ما ذكرناه من حشر الاجساد والجنة والنار واحاطة
علم الله تعالى بتفاصيل الامور وما يتطرق اليه احتمال التأويل ولو
بالمجاز البعيد فننظر فيه الى البرهان فان كان قاطعاً وجب القول به
ولكن ان كان في اظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم فإظهاره
بدعة وان لم يكن البرهان قطعياً لكن يفيد ظناً غالباً وكان مع ذلك
لا يعلم ضرره في الدين كنفى المعتزلي الرؤية عن الله تعالى فهذه
بدعة وليس بكفر

واما ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر فيحتمل
ان يكفر ويحتمل ان لا يكفر. ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض
من يدعي التصوف أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى استقطت
عنه الصلاة وحل له شرب الخمر والمعاصي وأكل مال السلطان
فهذا ممن لا شك في وجوب قتله وان كان في الحكم
بخلوذه في النار نظر وقتل مثل هذا افضل من قتل مائة كافر اذ ضرره
في الدين اعظم وينفتح به باب من الاباحة لا ينسد. وضرر هذا
فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقاً فانه يمنع عن الاصغاء اليه لظهور
كفره. واما هذا فانه يهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب
فيه الا تخصيص عموم اذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل
درجته في الدين وربما يزعم انه يلبس ويقارف المعاصي بظاهره

وهو بباطنه برى، عنها ويتداعى هذا الى ان يدعي كل فاسق مثل حاله وينحل به عصام الدين

ولا ينبغي ان يظن ان التكفير ونفيه ينبغي ان يدرك قطعاً في كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود في النار فماخذه كما خذ سائر الاحكام الشرعية فتارة يدرك بيقين وتارة بظن غالب وتارة يتردد فيه ومهما حصل تردد فالوقوف فيه عن التكفير اولى والمبادرة الى التكفير انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل: ولا بد من التنبيه على قاعدة اخرى وهي ان المخالف قد يخالف نصاً متواتراً ويزعم انه مؤول ولكن ذكر تأويله لا انقذاح له اصلاً في اللسان لا على بعد ولا على قرب فذلك كفر وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه مؤول، مثاله ما رأيت في كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطي الوحدة ويخلقها. وعالم بمعنى انه يعطي العلم لغيره ويخلقها. وموجود بمعنى انه يوجد غيره. وأما أن يكون واحداً في نفسه وموجوداً وعالمًا على معنى اتصافه فلا. وهذا كفر صراح لان حمل الوحدة على ايجاد الوحدة ليس من التأويل في شيء، ولا تختم له لغة العرب اصلاً ولو كان خالق الوحدة يسمى واحداً لخلقته الوحدة لسمي ثلاثاً واربعاً لانه خلق الاعداد أيضاً فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات

فصل

قد فهمت من هذه التكفيرات ان النظر في التكفير يتعلق بأمور: أحدها ان النص الشرعي الذي عدل به عن ظاهره هل يحتمل التأويل ام لا. فان احتمل فهل هو قريب ام بعيد. ومعرفة ما يقبل التأويل ومالا يقبل التأويل ليس بالهين بل لا يستقل به إلا الماهر الخاذق في علم اللغة العارف باصول اللغة ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها وتجاوزاتها ومنهاجها في ضروب الامثال

الثاني في النص المتروك انه ثبت تواتراً أو آحاداً او بالاجماع المجرد فان ثبت تواتراً فهو على شرط التواتر ام لا اذ ربما يظن المستفيض تواتراً: وحد التواتر مالا يمكن الشك فيه كالعلم بوجود الانبياء ووجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر في الاعصار كلها عصرًا بعد عصر الى زمان النبوة فهل يتصور ان يكون قد نقص عدد التواتر في عصر من الاعصار وشرط التواتر ان لا يحتمل ذلك كما في القرآن أما في غير القرآن فيغمض مدرك ذلك جداً ولا يستقل باذراكه إلا الباحثون عن كتب التواريخ وأحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث وأحوال الرجال وأغراضهم في نقل المقالات اذ قد يوجد عدد التواتر في كل عصر ولا يحصل به العلم اذ كان يتصور أن يكون للجمع الكثير رابطة في التوافق لا سيما بعد وقوع التعصب بين أرباب المذاهب ولذلك ترى الروافض يدعون النص على علي

ابن أبي طالب رضى الله عنه في الامامة بتواتره عندهم وتواتر عند
خصوصهم في أشياء كثيرة خلاف ما تواتر عندهم لشدة توافق
الروافض على إقامة أكاذيبهم واتباعها

وأما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من أغصن الاشياء إذ شرطه
أن يجتمع أهل الحل والعقد في صعيد واحد فيتفقوا على امر واحد
اتفاقا بلفظ صريح ثم يستمرروا عليه مرة عند قوم والى تمام انقراض
العصر عند قوم أو يكاتبهم إمام فى أقطار الارض فيأخذ فتاويهم فى
زمان واحد بحيث تتفق أقوالهم اتفاقا صريحاً حتى يمتنع الرجوع عنه
والخلاف بعده : ثم النظر فى أن من خالف بعده هل يكفر لأن
من الناس من قال إذا جاز فى ذلك الوقت أن يختلفوا فيحمل
توافقهم على اتفاق ولا يمتنع على واحد منهم إن رجع بعد ذلك
وهذا غامض أيضاً

الثالث النظر فى أن صاحب المقال هل تواتر عنده الخبر أو
هل بلغه الاجماع إذ كل من يولد لا تكون الامور عنده متواترة ولا
مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف وإنما يدرك ذلك
شيئاً فشيئاً وإنما يعرف ذلك من مطالعة الكتب المصنفة فى
الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل العلم فى ذلك بمطالعة تصنيف
ولا تصنيفين إذ لا يحصل تواتر الاجماع به . وقد صنف أبو بكر
الفارسي رحمه الله كتاباً فى مسائل الاجماع وأنكر عليه كثير منه
وخولف فى بعض تلك المسائل فإذا من خالف الاجماع ولم يثبت

عنده بعد فهو جاهل مخطئ . وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره
والاستقلال بمعرفة التحقيق فى هذا ليس بيسير .

الرابع النظر فى دليله الباعث له على مخالفة الظاهر أهو على شرط
البرهان أم لا . ومعرفة شرط البرهان لا يمكن شرحها الا فى مجلدات
وما ذكرنا فى كتاب (القسطاس المستقيم) وكتاب (محك النظر)
انموذج منه . وتكمل قريحة أكثر فقهاء الزمان عن قص شروط البرهان
على الاستيفاء ولا بد من معرفة ذلك فان البرهان اذا كان قاطعاً
رخص فى التأويل وان كان بعيداً فإذا لم يكن قاطعاً لم يرخص الا فى
تأويل قريب سابق الى الفهم

الخامس فى أن ذكر تلك المقالة هل يعظم ضررها فى الدين
أم لا . فان ما لا يعظم ضرره فى الدين فالامر فيه أسهل وان كان
القول شنيعاً وظاهر البطلان كقول الامامية المنتظرة ان الامام مختف
فى سرداب فانه ينتظر خروجه فانه قول كاذب ظاهر البطلان شنيع
جداً ولكن لا ضرر فيه على الدين انما الضرر على الاحق المعتقد
لذلك اذ يخرج كل يوم من بلده لاستقبال الامام حتى يدخل فيرجع
الى بيته خاسئاً وهذا مثال : والمقصود أنه لا ينبغي أن يكفر بكل
هذيان وان كان ظاهر البطلان فإذا فهمت أن النظر فى التكفير
موقوف على جميع هذه المقامات التى لا يستقل بأحدها المبرزون
علمت أن المبادر الى تكفير من يخالف الاشعري أو غيره جاهل
مجازف وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم وفى

أى ربع من أرباع الفقه يصادف هذه العلوم فاذا رأيت الفقيه الذى بضاعته مجرد الفقه يخوض في التفكير والتضليل فاعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدي في العلوم غريزة في الطبع لا يصبر عنه الجهال ولا جله كثر الخلاف بين الناس ولو ينكت من الايدى من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق

فصل

من أشد الناس غلواً واسرافاً طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا ان من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتنا التى حررناها فهو كافر فهو لا، ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولاً وجعلوا الجنة وقفاً على شريعة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ماتوا من السنة ثانياً إذ ظهر لهم في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة رضى الله عنهم حكمهم باسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ولم يشتغلوا بعلم الدليل ولو اشتغلوا به لم يفهموه ومن ظن ان مدرك الايمان الكلام والادلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد أبدع حد الابداع بل الايمان نور يقذفه الله في قلوب عباده عطية وهدية من عنده تارة بيينة من الباطن لا يمكنه التعبير عنها وتارة بسبب رؤيا في المنام وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبتته ومجالسته وتارة بقرينة حال فقد جاء أعرابي الى النبي

صلى الله عليه وسلم جاحداً به منكراً فلما وقع بصره على طلعتة البهية زادها الله شرفاً وكرامة فرأها يتلألاً منها أنوار النبوة قال والله ما هذا بوجه كذاب وسأله أن يعرض عليه الاسلام فأسلم وجاء آخر اليه عليه الصلاة والسلام وقال أنشدك الله الله بعثك نبياً فقال عليه الصلاة والسلام أي والله الله بعثني نبياً فصدقه بيمينه وأسلم وهذا وأمثاله أكثر من أن يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعليم الادلة بل كان يبدو نور الايمان بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة بيضاء ثم لاتزال تزداد اشراقاً بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن وتصفية القلوب فليت شعري متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضى الله عنهم احضار اعرابي أسلم وقوله له الدليل على أن العالم حادث أنه لا يخلو عن الاعراض وما لا يخلو عن الحوادث حادث وان الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدره زائدة عن الذات لاهي هو ولا هي غيره الى غير ذلك من رسوم المتكلمين

ولست أقول لم تجر هذه الالفاظ ولم يجز أيضاً ما معناه معنى هذه الالفاظ بل كان لا تنكشف ملحة الا عن جماعة من الاجلاف يسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الاسارى يسلمون واحداً واحداً بعد طول الزمان أو على القرب وكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلاة والزكاة وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم وغيرها . نعم لست أنكر انه يجوز أن يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الايمان في حق بعض الناس ولكن ليس

ذلك بمقصود عليه وهو أيضاً نادر بل الانفع الكلام الجارى في معرض الوعظ كما يشتمل عليه القرآن . فأما الكلام المحرر على رسم المتكلمين فانه يشعر نفوس المستمعين بأن فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامى لالكونه حقاً في نفسه وربما يكون ذلك سبباً لرسوخ العناد في قلبه ولذلك لا ترى مجلس مناظرة للمتكلمين ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل من الاعتزال أو بدعة الى غيره ولا عن مذهب الشافعى الى مذهب أبى حنيفة ولا على العكس ونجرب هذه الانتقالات بأسباب أخر حتى في القتال بالسيف ولذلك لم تجر عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل شددوا القول على من يخوض في الكلام ويشغل بالبحث والسؤال وإذا تركنا المداينة ومراقبة الجانب صرحنا بأن الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفة فيه إلا لأحد شخصين : رجل وقعت له شبهة ليست نزول عن قلبه بكلام قريب وعظي ولا بنجر نقلى عن رسول الله فيجوز أن يكون القول المرتب الكلامي دافعاً شبهته ودواء له في مرضه فيستعمل معه ذلك ويحرس عنه سمع الصحيح الذى ليس به ذلك المرض فانه يوشك أن يحرك في نفسه إشكالا ويشير له شبهة تمرضه وتستنزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح

والثانى شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان بأنوار اليقين يريد أن يحصل هذه الصنعة ليداوى بها مريضاً اذا وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعاً اذا نبغ وليحرس به معتقده اذا

قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك بهذا العزم كان من فروض الكفايات وتعلم قدر مايزيل به الشك ويدرأ الشبهة في حل المشكل فرض عين اذا لم يمكن إعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه . والحق الصريح ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واشتمل عليه القرآن اعتقاداً جزماً فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة بل الايمان الراسخ ايمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبي بتواتر السماع أو الحاصل بعد البلوغ بقرائن أحوال لا يمكن التعبير عنها وتام تأكده بلزومه العبادة والذكر فان من تبادت به العبادة الى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى دائماً تجلت له أنوار المعرفة وصارت الامور التى كان قد أخذها تقليداً عنده كالعبادة والمشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التى لا تحصل إلا بعد انحلال عقدة الاعتقادات وانشرح الصدر بنور الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه ويشرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شرح الصدر فقال نور يقذف في قلب المؤمن فقليل وماعلامته قال التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود . فبهذا يعلم ان المتكلم المقبل على الدنيا المتهالك عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو أدركها لتجافى عن دار الغرور قطعاً

فصل

لعلك تقول أنت تأخذ التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية . والشارع صلوات الله عليه هو الذي ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلم اذ قال عليه السلام «يقول الله تعالى لا دم عليه السلام يوم القيامة يا آدم ابعث من ذريتك بعث النار فيقول يارب من كم فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين» . وقال عليه الصلاة والسلام «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة»

الجواب : ان الحديث الاول صحيح ولكن ليس المعنى به أنهم كفار مخلدون بل أنهم يدخلون النار ويعرضون عليها ويتركون فيها بقدر معاصيهم والمعصوم من المعاصي لا يكون في الالف الا واحداً وكذلك قال الله تعالى (وان منكم الا واردها) ثم بعث النار عبارة عن استوجب النار بذنوبه ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما وردت به الاخبار وتشهد له الاخبار الكثيرة الدالة على سعة رحمة الله تعالى وهي أكثر من أن تحصى فمنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فابتغيته فاذا هو في مشربة يصلي فرأيت على رأسه أنواراً ثلاثة فلما قضى صلاته قال مهيم من هذه قلت أنا

عائشة يا رسول الله قال رأيت الأنوار الثلاثة . قلت نعم يا رسول الله قال ان آتياً أتاني من ربي فبشرني أن الله تعالى يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب ثم أتاني في النور الثاني أت من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب ثم أتاني في النور الثالث أت من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفاً المضاعفة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب فقلت يا رسول الله لا تبلغ أمتك هذا قال يكملون لكم من الأعراب ممن لا يصوم ولا يصلي

فهذا وأمثاله من الاخبار الدالة على سعة رحمة الله تعالى كثير فهذا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة . وأنا أقول ان الرحمة تشمل كثيراً من الامم السالفة وإن كان أكثرهم يعرضون على النار اما عرضة خفيفة حتى في لحظة أو في ساعة واما في مدة حتى يطلق عليهم اسم بعث النار . بل أقول ان أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى أعني الذين هم في أقاصى الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة فانهم ثلاثة أصناف صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم أصلاً فهم معذورون . وصنف بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام والمخاطبون لهم وهم الكفار الملحدون . وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم نعته

وصفته بل سمعوا أيضاً منذ الصبا ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة كما سمع صبياننا ان كذابا يقال له المقنع بعثه الله تحدى بالنبوة كاذبا فهو لا. عندي في معنى الصنف الاول فانهم مع أنهم لم يسمعو اسمهم سمعوا ضد أو صافه وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب وأما الحديث الآخر وهو قوله الناجية منها واحدة فالرواية مختلفة فيه فقد روى الهالكه منها واحدة ولكن الاشهر تلك الرواية ومعنى الناجية هي التي لا تعرض على النار ولا تحتاج الى الشفاعة بل الذي تتعلق به الزبانية لتجره الى النار فليس بناج على الاطلاق وان انتزع بالشفاعة من مخالبيهم وفي رواية كلها في الجنة إلا الزنادقة وهي فرقة ويمكن أن تكون الروايات كلها صحيحة فتكون الهالكه واحدة وهي التي تخلد في النار ويكون الهالك عبارة عن وقع اليأس عن صلاحه لان الهالك لا يرجى له بعد الهلاك خير وتكون الناجية واحدة وهي التي تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لان من نوقش الحساب فقد عذب فليس بناج اذا ومن عرض للشفاعة فقد عرض للمذلة فليس بناج أيضا على الاطلاق وهذان طريقان وهما عبارتان عن شر الخلق وخيره . وباقي الفرق كلهم بين هاتين الدرجتين فمنهم من يعذب بالحساب فقط ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف بالشفاعة ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم في عقائدهم وبدعتهم وعلى كثرة معاصيهم وقلتها . فاما الهالكه المخلدة في النار من هذه الامة فهي فرقة واحدة وهي

التي كذبت وجوزت الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصلحة .

وأما من سائر الامم فمن كذبه بعد ما قرع سمعه التواتر عن خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه فاذا قرع ذلك سمعه فأعرض عنه وتولى ولم ينظر فيه ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر ولا يدخل في هذا أكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل أقول من قرع سمعه هذا فلا بد أن تنبعت به داعية الطلب ليستبين حقيقة الامر ان كان من أهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم تنبعت هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين وذلك كفر وان انبعت الداعية فقصر في الطلب فهو أيضا كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه أن يفتر عن الطلب بعد ظهور الخايل بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فادر كه الموت قبل تمام التحقيق فهو أيضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية

واعلم ان الآخرة قريب من الدنيا فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فكما ان أكثر أهل الدنيا في نعمة وسلامة أو في

حالة يغبطها اذ لو خير بينها وبين الامانة والاعدام مثلاً لاختارها
وانما الممذب الذي يتمنى الموت نادر فكذلك المخلدون في النار
بالاضافة الى الناجين والمخرجين منها في الآخرة نادران صفة الرحمة
لا تتغير باختلاف أحوالنا وانما الدنيا والآخرة عبارتان عن اختلاف
أحوالك ولولا هذا لما كان لقوله عليه الصلاة والسلام معنى حيث
قال «أول ما خط الله في الكتاب الاول انا الله لا اله الا أنا سبقت
رحمتي غضبي فمن شهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله
فله الجنة»

واعلم ان أهل البصائر قد انكشف لهم سبق الرحمة وشمولها
بأسباب ومكاشفات سوى ما عندهم من الاخبار والآثار ولكن
ذكر ذلك يطول فابشر برحمة الله وبالنجاة المطلقة ان جمعت بين
الايان والعمل الصالح وبالهلاك المطلق ان خلوت عنهما جميعاً وان
كنت صاحب يقين في أصل التصديق وصاحب خطأ في بعض
التأويل أو صاحب شك فيهما أو صاحب خلط في الاعمال فلا تطمع
في النجاة المطلقة

واعلم انك بين ان تعذب مدة ثم تخلى وبين ان يشفع فيك
من تيقنت صدقه في جميع ما جاء به أو غيره فاجتهد ان يغنيك الله
بفضله عن شفاعته الشفعاء فان الامر في ذلك مخاطر

فصل

قد ظن بعض الناس ان ما أخذ التكفير من العقل لا من
الشرع وان الجاهل بالله كافر والعارف به مؤمن فيقال له الحكم
باباحة الدم والخلود في النار حكم شرعي لا معنى له قبل ورود الشرع
وان أراد به ان المفهوم من الشارع ان الجاهل بالله هو الكافر فهذا
لا يمكن حصره فيه لان الجاهل بالرسول وبالأخرة أيضاً كافر ثم ان
خصص ذلك بالجهل بذات الله تعالى بجحد وجوده أو وحدانيته
ولم يطرده في الصفات فربما سوعد عليه وان جعل الخطيئة في
الصفات أيضاً جاهلاً أو كافراً لزمه تكفير من نفى صفة البقاء وصفة
القدم ومن نفى الكلام وصفاً زائداً على العلم ومن نفى السمع
والبصر زائداً على العلم ومن نفى جواز الرؤية ومن أثبت الجهة
وأثبت ارادة حادثة لا في ذاته ولا في محل وتكفير المخالفين فيه
وبالجملة يلزمه التكفير في كل مسألة تتعلق بصفات الله تعالى وذلك
حكم لا مستند له وان خصص ببعض الصفات دون بعض لم يجد
لذلك فصلاً ومرداً ولا وجه له الا الضبط بالتكذيب ليعم المكذب
بالرسول وبالمعاد ويخرج منه المؤول ثم لا يبعد ان يقع الشك والنظر
في بعض المسائل من جملة التأويل أو التكذيب حتى يكون التأويل
بعيداً ويقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد فقد عرفت ان هذه
مسئلة اجتهاد

فصل

من الناس من قال إنما أكفر من يكفرني من الفرق ومن لا يكفرني فلا . وهذا لا مأخذ له فان قال قائل على رضى الله عنه أولى بالامامة اذا لم يكن كافراً فبان يخطئ صاحبه ونظن ان المخالف فيه كافر لا يصير كافراً وإنما هو خطأ في مسألة شرعية وكذلك الحنبلى اذا لم يكفر باثبات الجهة فلم يكفر بان يغلط أو يظن ان نافي الجهة مكذب وليس بمتاوّل وأما قول رسول الله صلى عليه وسلم « اذا قذف أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما » معناه ان يكفره مع معرفته بماله فمن عرف من غيره انه مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكفره فيكون المكفر كافراً

فاما ان كفره لظنه انه كذب الرسول فهذا غلط منه في حال شخص واحد اذ قد يظن به انه كافر مكذب وليس كذلك وهذا لا يكون كافراً فقد أفدناك بهذه الترييدات التنبيه على أعظم الغور في هذه القاعدة وعلى القانون الذى ينبغى ان يتبع فيه فاقنع به والسلام

﴿ تم كتاب فيصل التفرقة ويليه رسالة القواعد العشرة ﴾

﴿ لابی حامد الغزالى ﴾

﴿ الرسالة الرابعة ﴾

القواعد العشرة

﴿ للامام الهمام حجة الاسلام ﴾

أبى حامد محمد بن محمد الغزالى

﴿ عليه الرحمة ﴾

﴿ طبعت على نفقة البجائة المنقب عن الأسفار النفيسة ﴾

بجى الدين محمد الكزرى



﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الموفق الذي وفق قلوب الاحباب * لموافقة مراسم
السنة وأحكام الكتاب * الفتاح الذي فتح بصائر أبصارهم فابصروا
مواقع نبال الارتياح في مقاتل أهل الحجاب * ألهمهم الذي ألهمهم
الحجة البيضاء بالحجة الخضراء فأصابوا أبكار الصواب ناداهم
بلسان شأن المحبة من جنان المودة كيف ينسام الحب عن مشاهدة
الاحباب * فأكحلوا نواظرهم بأمد السهاد وجفوا من مضاجعهم
أطيب الرقاد * وجدوا في أثر الاطلاع مع الطلاب وجعلوا بهارهم
ليلاً وأفراحهم ويلاً * وأرخوا المعز مولاهم ذيلاً * وتدللوا على
الاعتاب فأقامهم في الحاضرة والبادية وأسمعهم أوامره ونواهيه *
فيا سعادتهم بتوفيقهم لو قوفهم على الابواب * وكشف لهم الحجاب
عن جماله * وكشط الضباب عن محاسن أثواب مقاله * فردوا
حيارى بمحاسن الاتراب أجروا مدامعهم جريان الأنهار * وأبدوا
فجائعهم عن زمن تولى من جرالازار على الازار * وطرخوا الباب
فأتاهم الجواب يا عبادى أنا التواب على من أقلع عن الحوبة والى

أناب * روق لهم في دار الوصال شراب الاتصال فناهيك به من
شراب * فتلذذوا بمناجاته وغابوا عن حضورهم في حضراته * وغدا
كل بعقله مصاب فأين المهاجر في الهواجر ومن أكحل المهاجر
بالحناجر طوباه قد فاز بطيب الخطاب

قد كشف المولى منبع الحجاب * واسمع الاحباب طيب الخطاب
واحضروا حضرة أنس بها * غابوا فعاشوا بعد موت العقاب
وفي مقام القرب أدناهم * لما سقاهم في المقام الشراب
وانحفوا من فضله بالوفا * محضاً من الا من أجل الكتاب
لهم الملوك الشتم من خلقه * ضمان الحق لعز الحجاب
قد تبعوا نهج سبيل الهدى * واتبعوا حكم نصوص الكتاب
واستمسكوا بسنة خير الورى * وحاسبوا من قبل يوم الحساب
وناقشوا أنفسهم خيفة * من غضب الحق وهول العقاب
إذا أتى الليل تراهم به * فرحاً لجمع الفرق تحت النقاب
يحيمونه بالذكر كي يحيمهم * بذكره في جمع أهل الثواب
يراهم الحق يباهى بهم * بهم عن الخلق يزول العذاب
عليهم منى سلام سما * مالمع البرق وهل السحاب
﴿أحمده﴾ حمداً استوجب به الثواب وأشكره شكراً يزيد به
زيادات أولى الالباب * وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك
له * شهادة تنزهه عن الحلول والانحياز * والظهور والبطون والابتداء
والانتهاء والاشتهار والاحتجاب * وتقديست ذاته المقدسة عن

مقالات أولى الجهالات * من الحكمة والسكينة واللين والمكان والزمان
والايات والذهاب * وأمجده بما أبرزه بحكمته من الاكوان عن
التفكر والتدبر والمعاونة والمشاورة والراحة والنصب والانتصاب
وأعظمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل والتبديل والتكريب
والارتكاب * وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف محبوب
وأعظم الاشراف وأخص الاحباب * أرسله بفضل الكتاب وفصل
الخطاب * وأيده بأفضل كتاب وأجل خطاب * أفصح فصحاء
الاعراب بالاعراب * والاختصار والاسهاب * وأعجز بلغاء الاحزاب *
ببدائع النفي والايجاب * وأضر بهم عما يعبدونه مما ينتمونه ما أتى به
من الاضراب فأنقذ الاحباب * من مهاوى الارتياح * ومغاوى
الاعراب وأعقب الاعراب بالعقاب على الاعقاب * وكشف عن
وجه نور الاسلام مكفريات ظلمات الاشراك والضباب صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه والاحباب * وعلى الخلفاء الراشدين
الاقطاب * أبي بكر وأبي حفص وأبي عمرو وأبي تراب * صلاة
تحملنا دار النعيم * ونخرجنا عن دار العذاب

﴿ أما بعد ﴾ نفحن الله وإياك بنسائم قربه * وسقانا وإياك
من كاسات حبه * ان بيان كيفية طريقنا * وبرهان أصل تحقيقنا
مبنى على عشرة قواعد توقيظ النائم وتقيم القاعد *

﴿ القاعدة الاولى ﴾ النية الصادقة الواقعة من غير التوا * لقوله
عليه الصلاة والسلام ﴿ وإنما لكل امرئ ما نوى ﴾ والمراد بالنية

عزم القلب * وبالصادقة أنهاؤها للفعل والترك للرب * وبالواقعة
استمرارها على هذه الخلقة الأثيرة لان التكرار تأثيراً ليس لغيره
وعلاقتها عدم تغيير جزئه بأعراض فانية وباقية في عزمه فان العمل
للحق ولا بد من الحق * فلا يترك ما عزم عليه للخلق

﴿ القاعدة الثانية ﴾ العمل لله من غير شريك ولا اشتراك لقوله
عليه السلام ﴿ اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ﴾
وعلامته أن لا يرضى بغير الحق ويرى ماسواه قاطعاً * فيجتنب
الخلق لقول النبي المختار ﴿ تعس عبد الدينار ﴾ وليترك لله سبحانه
وتعالى جميع أمانيه * لقوله عليه السلام ﴿ من حسن إسلام المرء
تركة ما لا يعنيه ﴾ وآكدها الشبهات فاحذرهما أن تصيبك لقوله
عليه السلام ﴿ دع ما يريبك الى ما لا يريبك ﴾ فاذا صحت هذه
الاصول الثلاثة أثمرت أغصانها لك القربى * فتكون بالصورة في
الدنيا وبالمنع في العقبى * وعلى قدر همك وثباتك على الفعل
والترك تحظى من الحديث المشهور ﴿ كن في الدنيا كأنك غريب
أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور ﴾ وعلامة القناعة
ما يذهب الحر والبرد والسغبة * لقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ حسب
ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه ﴾ فلا يميل الى صاحب القميص
صاحب الشعر * والى النقرة صاحب النكير * والمستغنى بالحلال
لا يقصد المباح * ولا يخفض الى الشبهة الجناح * وعلامة الغريب
الحمل الخفيف وعدم الائتلاف للثقل * وترك السؤال فإنه يؤوى

الى ظل الدخيل * وعلامة عابر السبيل اسراع الاجابة * ورضاه
بما سيق اليه واستطابه * وعلامة الميت ايثار مهمات دينه * والمسألة
في غوالب حينه *

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ موافقة الحق بالاتفاق والوفاق * ومخالفة
النفس بالصبر على الفراق والمشاق * وترك الهوى * وجفاء الملاذ
والمكان والخلاف * ومن تعوده خرج عن الحجاب ودخل في
الانكشاف * فعاد نومه سهراً * واختلاطه عزلة * وشبهه جوعاً *
وعزته ذلة * ومكالمته صمتاً * وكثرته قلة *

﴿ القاعدة الرابعة ﴾ العمل بالاتباع لا الابتداع * لئلا يكون صاحب
هوى * ولا يزهو برأيه زهوا * فانه لا يفلح من اتخذ نفسه في فعله
ولياً * بقوله عليه السلام ﴿ عليكم بالسمع والطاعة ولو كان عبداً حبشياً ﴾
﴿ القاعدة الخامسة ﴾ الهمة العلية المجردة عن تسويق يفسدك *
فقد جاء لا تترك عمل يومك لغدك * لان بعض الاعمال من بعضها
والا فمن رضى بالأذى حرم الأعلی * والكامل المتبع هو السنی
لا المتشيع والمعتزل والمبتدع لقوله عليه السلام ﴿ يا احبابي عليكم
بالسواد الاعظم ﴾ قالوا يا رسول الله وما السواد الاعظم قال
﴿ ما انا عليه واصحابي ﴾

﴿ القاعدة السادسة ﴾ العجز والذلة لا بمعنى الكسل في الطاعات
وترك الاجتهاد * بل عجزك عن كل فعل إلا بقدره الحق الجواد *
وأن ترى الخلق بعين التوقير والاحترام * فان بعضهم وسائط

بعض إجلالاً لحضرة ذي الجلال والاكرام * لان سنة الله سبحانه
وتعالى اذا أراد شيئاً ما اضافه اليه ينفي الوسائط * وإن أراد جلال
حضرتة تعظيماً اضافه لغيره رعاية للضوابط * فاذا علمت ان الكل
بيد الله سبحانه وتعالى والمرجع اليه وتكبرت فقد تكبرت عليه
الا بأمر وصل اليك من لديه * فاجعل عجزك في جنبه ومسكنتك
له بالاعتذار * ولا تتصور قدرة لك فانها منازعة في الاقتدار *

﴿ القاعدة السابعة ﴾ الخوف والرجا معنى وعدم الاطمئنان
بجلال الاحسان الا عند العيان * فحسن ظنك منك بالجواد الحسن
﴿ القاعدة الثامنة ﴾ دوام الورد اما في حق الحق أو حق
العباد * فان من ليس له ورد فما له من الموارد امداد * فالمديم يمل
والحق يمل بماله بخلاف الذي يغيب بأعماله وأقواله * فان النفس
تنبسط بذلك جهراً وسراً وتراعي حقوق العباد كما يتوقع منهم خيراً
وشراً فيحب ويبغض لهم ما يحب ويبغض لنفسه خيراً وشراً *
ويعمل لله تعالى ما يرضى كما يحب أن يفعل الله به ما يرضى *

﴿ القاعدة التاسعة ﴾ المداومة على المراقبة ولا طرفة عين يغيب
عن الله سبحانه وتعالى فمن داوم على مراقبة قلبه لله سبحانه
وتعالى ونفى غير الله وجد الله واحسانه * وعلم اليقين يحصل ذلك
لك بجملة * وهو أن ترى الحركات والسكنات والاعيان بتحركيه
وتسكينه وقدرته سبحانه لا يستغنى عنه شيء * ثم تزيد مراقبة الى
أن تترقى الى عين اليقين ثم تفنى عن ذلك به وذلك حقيقة اليقين

فتقول ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله سبحانه وتعالى هو القيوم على كل شيء بقيوميته وذلك الشيء هو القائم بأمره وبقدرته على حسب المشاهدة والمحاضرة فتأدب مع الخلق وعاشراً حسن المعاشرة (قال) عليه الصلاة والسلام (أدبني ربي فأحسن تأديبي)

﴿القاعدة العاشرة﴾ علم يوجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً اجتهداً * لان من ظن انه استغنى عن الطاعة فهو مفلس معاداً * لقوله سبحانه لا رب سواه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فهذا ما بنيت على أعمدة قواعده قصوراً من غير قصور وأسست عليه شوامخ الحجار لربات الحجور * وحرثته بمحراث فدن وبذرته بصنوف حبوب السعادة وغرست في فرائده مغارس الاذكار * وأجريت في جناته من الاوراد والانهار * وفرشته بشقائق نعمان المجاهدة * ومهدته بحقائق المكابدة راجياً حصاد زرعي بمناجل الهمم وقاصداً غنيمة انفاق من مواهب الكرم * والله تعالى يزكيه ويربيه ويربّيه * ويرتفع فيه من ظهر من فيه ومن التحق به ممن يحببه * انه الجواد الكريم البر الرحيم * والسلام على من اتبع * فما ابتدع ونفع وانتفع * ولحق بعباد الله الصالحين وحزبه المفلحين ورحمته وبركاته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نور أنوار المعارف * وسر أسرار العوارف وعلى آله وصحبه وتابعي سبيله وحزبه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتعم البركات آمين ﴿تمت الرسالة وتليها رسالة مشكاة الانوار للامام الغزالي﴾

﴿الرسالة الخامسة﴾

مشكاة الانوار

﴿للامام الهمام حجة الاسلام﴾

أبي هاشم محمد بن محمد الغزالي

﴿عليه الرحمة﴾

﴿طبعت على نفقة البجالة المنقبة عن الأسفار النفيسة﴾

بمطبع دار الكتب العلمية



﴿حقوق الطبع محفوظة﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مفيض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار ورافع
الاستار والصلاة على محمد نور الانوار وسيد الابرار وحبیب الجبار
وبشير الغفار ونذير القهار وقامع الكفار وفاضح الفجار وعلى آله
وأصحابه الطاهرين الاخيار . أما بعد فقد سألتني أيها الاخ الكريم
قيضك الله لطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة
العاليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونفى عما سوى الحق سريرتك ان
أثبت اليك أسرار الانوار الالهية مقرونة بما يشير اليه ظواهر الايات
المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى (الله نور السموات والارض)
ومعنى تشبيهه ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة
مع قوله عليه السلام «ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو
كشفها لاحت سبحات وجهه كل من أدركه بصره» ولقد ارتقيت
بسؤالك مرتقى صعباً تنخفض دون أعاليه مرامي أعين الناظرين
وقرعت باباً مغلقاً لا يفتح الا للعلماء الراسخين ثم ليس كل سر
يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلي بل صدور الاحرار

قبور الاسرار ولقد قال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر بل
قال سيد الاولين والآخرين «ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه
إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره عليهم إلا أهل الاغترار بالله»
ومهما كثرت أهل الاغترار بالله وجب حفظ الاسرار عن وجه الاشرار
لكنى أراك منشرح الصدر بالنور منزله السر عن ظلمات الغرور
فلا أشح عليك بالاشارة الى لواحق ولوائح والرمز الى حقائق
ودقائق فليس الظلم في كف العلم عن أهله بأقل منه في بثه الى غير
أهله فقد قيل

فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات موجزة فان تحقيق القول
فيه يستدعى تمهيد أصول وشرح فصول ليس يتسع له الا ن وقتي
ولا ينصرف اليه ذهني ولا همتي ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها
اذا شاء كما شاء بما شاء وإنما يفتح في هذا الوقت فصول ثلاثة

الفصل الاول

في بيان ان النور الحق هو الله تعالى

وان اسم النور لغيره مجاز محض لاحقيقة له

وبيانه بان تعرف معنى النور بالوضع الاول عند العوام ثم
بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص

ثم تعرف درجات النور المنسوبة الى الخواص وحقائقها لينكشف لك عند ظهور درجاتها ان الله تعالى هو النور الاعلى الاقصى وعند انكشف حقائقها انه النور الحق الحقيقي وحده لا شريك له فيه أما الوضع الاول العامي فالنور يشير الى الظهور والظهور أمر إضافي اذ يظهر الشيء لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون ظاهراً بالإضافة باطناً بالإضافة وإضافة ظهوره الى الادراكات لا محالة وأقوى الادراكات وأجلها عند العوام الخواص ومنها حاسة البصر والاشياء بالإضافة الى الحس البصرى ثلاثة أقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالأجسام المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالأجسام المضيئة مثل الكواكب وجسم النار اذا لم تكن مشعلة ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس والقمر والنير ان المشعلة والسرّج والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه الأجسام المنيرة على ظواهر الأجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض ونور السراج على الحائط والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الأجسام المشرقة أيضاً لأنها في أنفسها مستنيرة وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس هذا حده وحقائقه بالوضع الاول * (دقيقة) لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفاً على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة أيضاً اذ النور هو الظاهر المظهر وليس شيء من الانوار ظاهراً في حق العميان ولا مظهراً فقد

ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركناً لا بد منه للادراك ثم ترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك وأما النور فليس بمدرك ولا به ادراك بل عنده الادراك وكان اسم النور بالنور أحق منه بالنور المبصر فأطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه ضعيف وفي الاعمش انه ضعيف نور البصر وفي الاعمى انه فقد نور بصره وفي السواد انه يجمع نور البصر ويقويه والاجفان انما خصتها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها لتجمع ضوء العين وأما البياض فيفترق نور العين فيضعف نوره حتى ان إدامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يبهّر نور العين ويمحقه كما يمحق الضعيف في جنب القوى فقد عرفت بهذا أن الروح الباصرة يسمى نوراً وأنه لم كان بهذا الاسم أولى وهذا هو الوضع الثاني وهو وضع الخواص

(حقيقة) اعلم ان نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغاط كثيراً في إبصاره فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة فان كان في

الاعين عين منزه عن هذه النقائص كلها فليت شعري هل هو أولى باسم النور فعلم ان في قلب الانسان عيناً هذه صفة كلها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني دع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أو همت عند الضعيف البصيرة كثرة المعاني فنعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون ولنسمة عقلاً متابعة للجسم في الاصطلاح فنقول العقل أولى بان يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع . . أما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه اذ يدرك نفسه عالماً وقادراً ويدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلمه بنفسه وعلمه بعلمه بعلمه نفسه الى غير نهاية وهذه خاصة لا تتصور لما يدرك بالآلة الاجسام ووراءه سر يطول شرحه .

الثانية ان العين لا تبصر ما قرب منها قريباً مفراطاً ولا ما بعد والعقل عنده يستوى القريب والبعيد ويعرج في طرفه الى اعلى السموات رقياً وينزل في لحظة الى تخوم الارض هويماً بل اذا حقت الحقائق انكشف انه منزه عن ان يحوم بجنبات قدسه القرب والبعيد الذي يعرض بين الاجسام فانه أتمودج من بحور الله تعالى ولا يخلو الامودج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة المساواة وهذا بما هزك للتفتن اسر قوله صلى الله عليه وسلم «ان الله خلق آدم على صورته» فلست أرى الآن الخوض في بيانه . . الثالثة ان العين لا

تدرك ما وراء الحجاب والعقل يتصرف في العرش والكرسي وما وراء حجب السموات وفي الملاء الأعلى والمملكوت كتصرفه في عالمه الخاص به ومملكته القريبة أعني بها الخاصة به بل الحقائق كلها لا تحجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات مقارنة له تضاهي حجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا في الفصل الثالث من الكتاب . . الرابعة ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الأعلى دون باطنها بل قوالبها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى بواطن الاشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط أسبابها وعلاها وحكمها وانها محدث وكيف خلقت ومن كم معنى جمع الشيء وركب وعلى أي مرتبة في الوجود نزل وما نسبته الى سائر مخلوقاته الى مباحث آخر يطول شرحها نرى الاجاز فيها أولى . . الخامسة ان العين تبصر بعض الموجودات إذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح والطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة أعني قوة السمع والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والألم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر المجري لا تسعه مجاوزة عالم الألوان والأشكال وهما

أخس الموجودات فإن الاجسام في نفسها أخس أقسام الموجودات
والالوان والاشكال من أخس اعراضها والموجودات كلها مجال
العقل إذ يدرك هذه الموجودات التي عددناها وما لم نعهده هو
الاكثر فيتصرف في جميعها ويحكم عليها حكماً يقيناً صادقاً فالاسرار
الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جليلة فمن أين للعين الباصرة
مساواته في استحقاق اسم النور كلا أنها نور بالاضافة الى غيرها
ولكنها ظلمة بالاضافة اليه بل هي جاسوس من جواسيسه وكلها
بأخس خزائنه وهي خزانة الالوان والاشكال لترفع الى حضرته
أخبارها فيقضى فيها بما يقتضيه رأيه الثاقب وحكمه النافذ والحواس
جواسيسه سواها وهي من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم
خدم وجنود مسخرة له في عالمه الحاضر يسخرهم ويتصرف فيهم
استسخر الملك عبيده بل أشد وشرح ذلك يطول وقد شرحناه
في كتاب عجائب القلب من كتب الاحياء . . السادسة أن العين
لا تبصر ما لا نهاية له فانه تبصر صفات الاجسام المعلومات
والاجسام لا تتصور الامتتاهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات
لا تتصور أن تكون متناهية نعم اذا لاحظ العلوم المتحصلة فلا يكون
الحاضر الحاصل عنده إلا متناهياً لكن في قوته إدراك ما لا نهاية له وشرح
ذلك يطول فإن أردت له مثلاً فخذ من الحساب فانه يدرك
الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلاثة وسائر

الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك أنواعاً من النسب بين الاعداد
ولا يتصور لها نهاية بل يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء وعلمه
بعلمه بعلمه وقوته في هذا الوجه أيضاً لا تقف عند نهاية . . السابعة
أن العين تدرك الكبير صغيراً فترى الشمس في مقدار مجر والكواكب
في صورة دنانير منشورة على بساط أزرق والعقل يدرك أن الكواكب
والشمس اكبر من الارض اضعافاً مضاعفة ويرى الكواكب ساكنة
بل يرى الظل بين يديه ساكناً ويرى الصبي ساكناً في مقـداره
والعقل يدرك أن الصبي يتحرك في النمو والتزيد على الدوام والظل
متحرك دائماً والكواكب تتحرك في كل لحظة أميالا كثيرة كما قال
صلى الله عليه وسلم لجبريل أزالت الشمس فقال لا نعم قال وكيف
قال منذ قلت لا الى أن قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة عام
وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزّه عنها فان قلت نرى العقلاء
يغلطون في نظرهم فاعلم أن خيالاتهم وأوهامهم قد تحكم باعتقادات
يظنون ان أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا
مجامعها في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فأما العقل اذا تجرد
عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل يرى الاشياء على
ما هي عليه وفي تجرده عسرواً كما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد
الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلي الاسرار ويصادف كل
أحد ما قدمه من خير أو شر محضراً ويشاهد كتاباً لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها وعندها يقول له فكشفنا عنك غطاءك

فبصرك اليوم حديد وإنما الغطاء غطاء الخيال والوهم وعندها يقول
المغرور بأوهامه واعتقاداته الفاسدة وتخيلات الباطلة ربنا أبصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون فقد عرفت بهذا ان العين
أولى باسم النور من النور المعروف المحسوس ثم عرفت أن العقل
أولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما يصح ان يقال
معه أنه أولى بل الحق أنه يستحق الاسم دونه (دقيقة) إعلم أن
العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها على مرتبة
واحدة بل بعضها تكون عندها كأما حاضرة كالعلوم الضرورية
مثل علمه بأن الشيء الواحد لا يكون قديما حديثا ولا يكون موجودا
معدوما والقول الواحد لا يكون صدقا وكذبا وان الحكم اذا ثبت
للشيء جوازه ثبت لمثله وان الاخص اذا كان موجودا كان الاعم
واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد
الانسان فقد وجد الحيوان واما عكسه فلا يلزم في العقل إذ لا يلزم
من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود
الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات والجائزات
والمستحيلات ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه
بل يحتاج الى أن يهز أعطافه ويستورى زناده وينبه عليه بالتنبيه
كالنظريات وإنما ينبهه كلام الحكماء فعند إشراق نور الحكمة يصير
الانسان مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة وأعظم الحكمة
كلام الله تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون منزلة آيات

القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة إذ به
يتم الابصار فبالحرى أن يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس
نوراً فمثال القرآن نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم
معنى قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) وقوله
تعالى (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً)
(تكملة لهذه الدقيقة) فاذا فهمت من هذا أن العين عينان ظاهرة وباطنة.
الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة ، والباطنة من عالم آخر وهو عالم
الملوك ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة
الابصار بإحداها ظاهرة والاخرى باطنة والظاهرة من عالم الشهادة
وهي الشمس المحسوسة والباطنة من عالم الملوك وهو القرآن وكتب
الله المنزلة

ومهما انكشف لك هذا انكشافا تاما فقد انفتح لك باب
من أبواب الملوك وفي هذا العالم عجائب يستحق بالاضافة اليها
عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقعد به القصور في
حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية
بل أضل من البهيمة إذ لم تعط البهيمة أجنحة الطيران الى هذا العالم
ولذلك قال تعالى (أولئك كالانعام بل هم أضل) واعلم أن عالم
الشهادة بالاضافة الى عالم الملوك كالقشرة بالاضافة الى اللب
وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى
النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملوك

العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني ولا تظن أنا نعتي بالعالم العلوي السموات فانها علو وفوق في حق بعض عالم الشهادة والحس يشارك في ادراكها البهائم وأما العبد فلا تفتح له أبواب الملكوت ولا يصير ملكوتياً الا وتبدل في حقه الارض غير الارض والسموات ولا يصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه ومن جاتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتداء سفره لقرب حضرة الربوبية فالانسان مردود الى أسفل سافلين ومنه يترقى الى العالم الأعلى وأما الملائكة فانهم من جملة عالم الملكوت عالون في حضرة القدس ومنها يشرفون على العالم الاسفل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم أفاض عليهم من نوره» وقال «لله ملائكة هم أعلم بأعمال الناس منهم» والانبيااء إذا بلغ معراجهم الى عالم الملكوت فقد بلغوا المبلغ الاقصى وأشرفوا على جملة من عالم الغيب إذ من كان في عالم الملكوت كان عند الله وعنده مفاتيح الغيب أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة إذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى الثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات إنما تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت كما سيأتي في بيان المشكاة والمصباح والشجرة لان المشبه لا يخلو عن

موازاة المشبه به ومحركاته نوعاً من المحاكاة على قرب أو بعد وهذا الآن له غور عميق ومن اطلع على كنه حقيقته انكشفت له حقائق أمثلة القرآن على يسر

(دقيقة ترجع الى حقيقة النور) قلنا ان كل ما يبصر نفسه وغيره أولى باسم النور فان كان من جملة ما يبصر به غيره أيضاً مع أنه يبصر نفسه وغيره فهو أولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره أصلاً بل بالحرى أن يسمى سراجاً منيراً فيضاً أنواره على غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدس النبوي إذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلق وبه يفهم تسمية الله محمداً صلى الله عليه وسلم سراجاً منيراً والانبيااء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن التفاوت بينهم لا يحصى

(دقيقة) اذا كان اللائق بالذي يستفاد منه نور الابصار أن يسمى سراجاً منيراً فالذي يقتبس منه السراج في نفسه جدير بأن يكنى عنه بالنار وهذه السرج الارضية إنما تقتبس في أصلها من أنوار علوية والروح القدس النبوي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسه نار لكن إنما يصير نوراً على نور اذا مسته النار فبالحرى أن يكون مقتبس الارواح الارضية من الارواح الالهية العلوية التي وصفها علي وابن عباس عليهما السلام فقالا ان الله ملكا له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يسبح الله بجميعها وهو الذي قوبل بالملائكة كلهم فقيل

(يوم يقوم الروح والملائكة صفاء) فهي اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك لايؤنس الا من جانب الطور

(دقيقة) الانوار السماوية التي منها تقتبس الانوار الارضية ان كان لها ان تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول أولى باسم النور لانه أعلى رتبة ومثال ترتيبها في عالم الشهادة لا يدركه الانسان إلا بان يبصر ضوء القمر داخلاً في كوة بيت واقفاً على مرآة منصوبة على حائط منعطفاً منها على حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها على الارض بحيث تستنير منه الارض فأنت تعلم أن ما على الارض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع القمر وما في القمر تابع لما في الشمس إذ منها يشرق النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مترتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض وكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعدها

فاعلم أنه قد انكشف لارباب البصائر أن الانوار المملوكة إنما وجدت على ترتيب كذلك وأن المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل وان فيهم الاقرب الذي تقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهم درجات تستعصى عن الاحصاء وإنما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في صفوفهم وأنهم كما

وصفوا به أنفسهم إذ قالوا (وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون)

(دقيقة) اذا عرفت ان الانوار لها ترتيب فاعلم أنها لا تتسلسل الى غير نهاية بل ترتقي الى منبع أول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها فانظر الان هل اسم النور أحق وأولى بالمستنير المستنير نور من غيره أو بالمنير في ذاته المنور لكل ماسواه فما عندي أنه يخفى عليك الحق فيه وبه تتحقق ان اسم النور أحق بالنور الاقصى الا على الذي لانور فوقه ومنه ينزل النور الى غيره

(حقيقة) بل أقول ولا أبالي ان اسم النور على غير النور الاولى مجاز محض اذ كل ماسواه اذا اعتبرت ذاته فهو في ذاته من حيث ذاته لانور له بل نوره مستعار من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة بنفسها بل بغيرها ونسبة المستعار مجاز محض أفترى أن من استعار ثياباً وفرساً ومركباً وسرجاً وركبه في الوقت الذي أركبه المعير وعلى الحد الذي رسمه له غنى بالحقيقة أو بالمجاز أو ان المعير هو الغنى كلا بل المستعير هو فقير في نفسه كما كان وإنما الغنى هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء واليه الاسترداد والانتزاع فإذا النور الحق هو الذي بيده الخلق والامر ومنه الانارة أولاً والادامة ثانياً فلا شركة لاحد معه في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاقه الا من حيث تسميته به ويتفضل عليه بتسميته اياه تفضل المالك على

عبده اذا أعطاه مالا ثم سماه مالكا واذا انكشف للعبد هذه الحقيقة علم انه وماله ملك للملكه على التفرد لا شريك له فيه أصلا (حقيقة) مهما عرفت ان النور راجع الى الظهور والاضهار ومراتبه فاعلم انه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم لانه مظلم وسمى مظلماً لانه ليس يظهر للابصار اذ ليس يصير موجوداً للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي ليس موجوداً لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابله الوجود فهو النور فان الشئ مالم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره والوجود بنفسه أيضا ينقسم الى ماله الوجود من ذاته والى ماله الوجود من غيره وماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وليس ذلك بوجود حقيقى كما عرفت في مثال استعارة الثوب والغنى فلموجود الحق هو الله تعالى كما ان النور الحق هو الله تعالى

﴿ حقيقة الحقائق ﴾ من ههنا يترقى العارفون من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانة أن ليس في الوجود الا الله وان كل شئ هالك الا وجهه لانه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك أزلا وأبداً اذ لا يتصور الا كذلك فان كل شئ سواء اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذى يسري اليه الوجود

من الاول الحق رؤي موجوداً لا في ذاته بل من الوجه الذى يلى موجوده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شئ وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله وجود فاذا لا موجود الا الله ووجهه فاذا كل شئ هالك الا وجهه أزلا وأبداً ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيامة ليستمعوا نداء البارئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ولم يفهموا من معنى قوله الله أكبر انه أكبر من غيره حاش لله اذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون هو أكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذى يليه فالموجود وجهه فقط ومحال أن يكون أكبر من وجهه بل معناه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الاضافة والمقايسة وأكبر من أن يدرك غيره كنهه كبريائه نبيا كان أو ملكا بل لا يعرف الله كنهه معرفته الا هو اذ كل معروف داخل تحت سلطان العارف واستيلائه وذلك ينافى الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق ذكرناه في كتاب المقصد الاسنى في معاني أسماء الله الحسنى

﴿ اشارة ﴾ العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علمياً ومنهم من صار له ذوقاً وحالاً وانتفت عنهم الكثرة بالسكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستهوت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر

أنفسهم أيضاً فلم يبق عندهم الا الله فسكروا سكرأ وقع دونه سلطان
عقولهم فقال بعضهم أنا الحق وقال الآخر سبحاني ما أعظم شأنى
وقال الآخر ما فى الجبة الا الله وكلام العشاق فى حال السكر
يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل
الذي هو ميزان الله فى أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد
بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق فى حال فرط العشق

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فلا يبعد أن يفجأ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرأة
قط فيظن أن الصورة التى رآها فى المرآة هي صورة المرأة متحدة
بها ويرى الخمر فى الزجاج فيظن أن الخمرة لون الزجاج فاذا صار
ذلك عنده مألوفاً ورسخ فيه قدمه استغرقه فقال

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشا كل الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
وفرق بين أن يقال الخمر قدح وبين أن يقال كأنه القدح
وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحال فناء بل
فناء الفناء لانه فنى عن نفسه وفنى عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه
فى تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه
لكان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحال بالاضافة الى المستغرق فيها
بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً ووراء هذه الحقائق
أيضاً أسرار لا يجوز الخوض فيها

﴿ خاتمة ﴾ لعلك تشتهي أن تعرف وجه اضافة نوره الى
السموات والارض بل وجه كونه فى ذاته نور السموات والارض
ولا ينبغي أن يخفى ذلك عليك بعد أن عرفت أنه النور ولا نور
سواه وانه كل الانوار وانه النور السكلى لان النور عبارة عما
تنكشف به الاشياء وأعلى منه ما ينكشف به وله واعلا منه ما ينكشف
به وله ومنه وان الحقيقى منه ما ينكشف به وله ومنه وليس فوقه نور
منه اقتباسه واستمداده بل ذلك له فى ذاته من ذاته لذاته لا من
غيره ثم عرفت أن هذا لا يتصور ولن يتصف به الا النور الاول
ثم عرفت أن السموات والارض مشحونة نوراً من طبيعته النور
أعنى المنسوب الى البصر والبصيرة أى الى الحس والعقل أما
البصري فما نشاهده فى السموات من الكواكب والشمس والقمر
وما نشاهده فى الارض من الاشعة المنبسطة على كل ما فى الارض
حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصاً فى الربيع وعلى كل حال
من الحيوانات والنباتات والمعادن وأصناف الموجودات ولولاها لم يكن
للالوان ظهور بل وجود ثم سائر ما يظهر للحس من الاشكال
والمقادير يدرك تبعاً للالوان ولا يتصور ادراكها الا بواسطتها وأما
الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر
الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي الحياة الحيوانية ثم الانسانية
وبالنور الانسانى السفلى ظهر نظام العالم السفلى كما أن بالنور
الملكى ظهر نظام العالم العلوى وهو المعنى بقوله « وهو

الذي أنشأكم من الارض واستعمركم فيها» وقال « ليستخلفهم في الارض » وقال « ويجعلكم خلفاء الارض » وقال « انى جاعل في الارض خليفة » فاذا عرفت هذا عرف ان العالم بأسره مشحون بالانوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية ثم عرفت ان السفلية فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج وان السراج هو النور النبوى القدسى وان الارواح النبوية القدسية مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج من النار وان العلويات بعضها مقتبس من بعض وان ترتيبها ترتيب مقامات ثم ترتقي جملة الى نور الانوار ومعناها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله وحده لا شريك له وان سائر الانوار مستعارة منه وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل من نوره بل هو لا هوية لغيره الا بالحجاز فاذا لا نور الا هو وسائر الانوار انوار من الوجه الذى تليه لا من ذاتها فوجه كل وجه اليه ومول شطره « وأينما تولوا فثم وجه الله » فاذا لا اله الا هو فان الاله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأليه أعنى وجوه القلوب فانها الانوار والارواح بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو فان هو عبارة عما اليه الاشارة وكيفما كان فلا اشارة الا اليه بل كلما أشرت فهو بالحقيقة الاشارة اليه وان كنت لا تعرفه انت لغفلتك عن حقيقة الحقائق التي ذكرناها ولا إشارة إلى نور الشمس بل إلى الشمس فكل ما في الوجود فنسبته اليه في ظاهر المثال كنسبة النور إلى الشمس فاذا لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو إلا هو توحيد

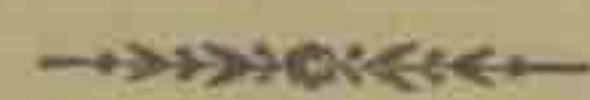
الخواص لان ذلك أعم وهذا أخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية فليس وراء ذلك مرقة اذ الرقي لا يتصور إلا بكثرة فانه نوع إضافة يستدعى مأمنه الارتقاء وما اليه لارتقاء وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتفع فاستحال الترقى واستحال العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان ثم تغيير من حال فبانزول الى السماء الدنيا أعنى بالاشراق من علو الى أسفل لان الاعلى وان لم يكن له أعلى فله أسفل فهذا غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجله وهو من العلم الذى هو كنهه المكنون الذى لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله ولا يبعد ان قال العلماء ان النزول الى سماء الدنيا هو نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو أبعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية له نزول الى سماء الدنيا وان ذلك هو نزوله الى استعمال الخواص أو تحريك الاعضاء واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام «صرت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به » واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق اذا لا غيره * واليه الاشارة بقوله لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني الحديث فحركات هذا الموحّد من السماء الدنيا

واحساساته من سماء فوقها وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سماء العقل الى منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية الى سبع طبقات ثم بعد يستوى على عرش الوجدانية ومنه يدبر الامر الى طبقات سمواته فربما نظر الناظر اليه فأطلق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن الى أن يمعن النظر فيه فيعلم ان ذلك له تأويل كقوله أنا الحق وسبحاني بل كقوله عليه الصلاة والسلام مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه فأرى الآن امساك عنان البيان فما أراك تطيق من هذا الفن أكثر من هذا المقدار

(مساعدة) لعلك لا تسمو الى هذا الكلام بهمتك بل تقصر دون ذروته همتك فخذ اليك كلاماً أقرب الى فهمك وأقرب لضعفك واعلم ان معنى كونه نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهري البصري فاذا رأيت ألوان الربيع وخضرتها مثلاً في ضياء النهار فلست تشك في انك ترى الألوان وربما ظننت انك لست ترى مع الألوان غيرها فكأنك تقول لست أرى مع الخضرة غيرها ولقد أصر على هذا أقوام فزعموا ان النور لا معنى له وانه ليس مع الألوان غير الألوان فانكروا وجود النور مع انه أظهر الأشياء وكيف لا وبه تظهر الأشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبية السراج ووقوع الظل أدركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موضع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الألوان يدرك مع الألوان حتى كأنه

لشدة اتحادها بها لا يدرك ولشدة ظهوره يخفى وقد تكون شدته سبب الخفاء والشئ اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم ان أرباب البصائر ما رأوا شيئاً الا ورأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله لان منهم من يرى الأشياء به ومنهم من يرى الأشياء فيراه بالأشياء والى الاول الإشارة بقوله «أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد» والى الثاني الإشارة بقوله «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» فالاول صاحب مشاهدة والثانية صاحب استدلال بآياته والاولى درجة الصديقين والثاني درجة العلماء الراسخين وليس بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين فاذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شئ للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شئ للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شئ لا يفارقه وبه يظهر كل شئ ولكن بقي ها هنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل وأما النور الالهي الذي به يظهر كل شئ لا يتصور غيبته بل يستحيل غروبه فيبقى مع الأشياء كلها دائماً فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدمت السموات والارض ولا يدرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الأشياء ولكن لما تساوت الأشياء كلها على نمط واحد في الشهادة لوحداية خالقها اذ كل شئ يسبح بحمده لا بعض الأشياء وفي جميع الاوقات لا في بعض الاوقات ارتفع التفريق وخفى الطريق اذ الطريق الظاهر

معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضده ولا نقيض تتشابه الاحوال في الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلالة والغفلة عنه لا شراق ضيائه فسبحان من اختفى عن الخلق اشدة ظهوره واحتجب عنهم لا شراق نوره وربما أيضاً لا يفهم هذا الكلام بعض القاصرين فيفهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل الابدع عن اثاره هذا الخيال ان تقول لك بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهذا الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك أيضاً ان المظهر قبل المظهر وفوقه مع انه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي هي قدر درجتك في العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضاً ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل علم رجال وكل ميسر لما خلق له



الفصل الثاني

في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار وبيان ذلك يستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ولكنني أشير اليهما بالرمز والاختصار .. أحدهما في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط أرواح المعاني بقوالب الامثلة ووجه كيفية المناسبة بينهما وكنه الموازنة بين عالم الشهادة التي منها يتخذ طينة الامثال وبين عالم الملكوت الذي منه تنزل ارواح المعاني .. والقطب الثاني في طبقات أرواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها فان هذا المثال مسوق لبيان ذلك وقد قرأ ابن مسعود (مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة فيها) وقرأ أبي بن كعب (مثل نور قلب من آمن كمشكاة فيها)

« - القطب الاول في بيان سر التمثيل ومنهاجه - اعلم ان العالم عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسي وعقلي وان شئت قلت علوي وسفلي والكل متقارب وانما يختلف باختلاف العبارات فاذا اعتبرتهما في أنفسهما قلت جسماني وروحاني واذا اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي وان اعتبرتهما باضافة أحدهما الى الآخر قلت علوي وسفلي وربما سميت احدهما عالم الملك والشهادة والاخر عالم الغيب والملكوت ومن ينظر الى الحقائق من الالفاظ ربما يتحير من كثرتها ويتخيل كثرة

المعاني والذي تنكشف له الحقائق يجعل المعاني أصلاً والالفاظ تابعة وأمر الضعيف بالعكس منه اذ يطلب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى « أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم » واذ قد عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم المملوكونى العلوي عالم غيب اذ هو غائب عن الاكثر والعالم الحسى عالم الشهادة اذ يشهده الكافة والعالم الحسى مرقاة الى العالم العقلى ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقى اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله فلان يقرب من الله أحد ما لم يطأ بحجوة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال هو الذي نغنيه بعالم القدس واذا اعتبرت جملة بحيث لا يخرج منه شىء ولا يدخل فيه ما هو غريب منه سميناه حظيرة القدس وربما سميناه الروح البشري الذي هو مجرى لوائح القدس الوادى المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد امعانا في معاني القدس ولكن لفظ الحظيرة محيط بجميع طبقاتها فلا تظن ان هذه الالفاظ طامات غير معقولات عند أرباب البصائر

واشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره بصـدنى عن المقصد فعليك بالتشهير لفهم الالفاظ فارجع الى الغرض فأقول لما كان عالم الشهاد مرقى الى عالم الملكوت كان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقى وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى فلو لم

يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شىء في هذا العالم الا وهو مثال لشىء من ذلك العالم وربما كان الشىء الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت وربما كان للشىء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا مثله نوعاً من المماثلة وطابقه نوعاً من المطابقة واحصاء تلك الامثلة يستدعى استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ولن تفي به القدرة البشرية ولم تقسع افهمه القوة البشرية ولا تفي لشرحه الاعمار القصيرة فغايى أن أعرفك منها أنموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فأقول ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها باللائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى أرباباً فيكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانياتها متفاوتة فبالحرى أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب وسالك الطريق يترقى أولاً الى ما درجته درجة الكوكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له أن العالم الاسفل بأسره تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما ينادى فيقول هذا ربى ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أقول الاول في مضرب الهوى أى بالاضافة الى ما فوقه أقول لا فقال لا أحب الاقلين فكذلك يترقى حتى ينتهى الى ما مثاله الشمس

فيراه أكبر وأعلى قابلاً للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع
 ذي النقص نقص وأقول أيضاً فمنه من يقول (وجهت وجهي للذي
 فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) ومعنى الذي
 إشارة مبهمّة لا مناسبة لها إذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم
 يتصور أن يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق ولذلك
 لما قال بعض الأعراب لرسول الله ما نسبة الله نزل في جوابه (قل
 هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) معناه
 التقديس عن النسبة ولذلك لما قال فرعون لموسى وما رب العالمين
 كالمطالب لما هيته لم يجبه إلا بأفعاله إذ كانت الأفعال أظهر عند السائل
 فقال رب السموات والأرض فقال فرعون لمن حوله ألا تسمعون
 كالمذكر عليه في عدوله في جوابه عن طلب الحقيقة فقال موسى (ربكم
 ورب آبائكم الأولين) فنسبه فرعون إلى الجنون إذ كان مطالبه المثال
 والماهية وهو يجيب عن الأفعال بالأفعال وقال فرعون أن رسولكم
 الذي أرسل اليكم لجنون * وانرجع الآن إلى النموذج فنقول علم
 التعبير يعرفك مقدار ضرب المثال لأن الرؤيا جزء من النبوة أما
 ترى أن الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة
 والمماثلة في معنى روحاني وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان
 الآثار والأنوار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لا فاضة الشمس
 نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره
 بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وإن من يرى أن

في يده خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فإنه يعبر له أنه
 يؤذن قبل الصبح في رمضان ومن رأى أنه يصب الزيت في الزيتون
 تعبيره أن تحته جارية هي أمه وهو لا يعرفها فاستقصاء أبواب
 التعبير في أمثال هذا الجنس غير ممكن فلا يمكنني الاشتغال بعدها
 بل أقول كما أن في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس
 والقمر والكواكب كذلك منها ماله أمثلة أخرى إذا اعتبرت معها
 أوصاف أخرى سوى النورانية فإن كان في تلك الموجودات ما هو
 ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تتفجر إلى أودية القلوب
 البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وإن كان
 الموجودات التي تتلقى تلك النفائس بعضها أولى من بعض فمثالها
 الوادي وإن كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية
 تجري من قلب إلى قلب فهذه القلوب أيضاً أودية ومفتوح الوادي
 قلوب الأنبياء والأولياء والعلماء ثم من بعدهم فإن كانت هذه الأودية
 دون الأول منها تغترف فبالحرى أن يكون الأول هو الوادي الأيمن
 دون لفته وميدانه وإن كان روح النبي سراجاً منيراً وكان ذلك
 الروح مقتبساً بواسطة وحى كما قال (أوحينا إليك روحاً من أمرنا)
 فما منه الاقتباس مثاله النار وإن كان المتلقون من الأنبياء بعضهم على
 محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال المقلد
 الغير المستبصر الجدوة والقبس والشهاب وصاحب الذوق مشارك للنبي
 في بعض الأحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاح وإنما يصطلى بالنار

من معه النار لا من سمع خبرها وان كان أول منزل الانبياء الترقى الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادى المقدس وان كان لا يمكن وطء ذلك الوادى المقدس إلا باطراح الكونين أغنى الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان للجواهر النوراني البشرية يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما أخرى فمثال اطراحهما عند الاحرام والتوجه إلى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقى إلى الحضرة الربوبية مرة أخرى فنقول إن كان في تلك الحضرة شيء بواسطته تنتقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة فمثاله القلم وإن كان في تلك الجواهر القابلة للتلقى ما انتقش بالعلوم فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور وان كان فوق الناقد للعلوم شيء هو مسخر له فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة وإن كان يوجد للصورة الانسية ترتيب منظوم على هذه الشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين أن يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله إذ الرحمة الالهية هي التي على صورة الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم أنعم على آدم فأعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما في العالم حتى كأنه كل ما في العالم أو هو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم أغنى هذه الصورة مكتوبة بخط الله فهو الخط الالهي الذي ليس برقم حروف إذ يتنزه خطه عن أن يكون رقماً وحروفاً كما يتنزه

كلامه عن أن يكون صوتاً وحروفاً وقلمه عن أن يكون قصبا وحديداً ويده عن أن تكون لهما وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز آدمي عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه إلا من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة كان على صورة الرحمن لا على صورة الله فحضرة الالهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعباد بجميع هذه الحضرات فقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله ان الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظاً بل كان ينبغي أن يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح على صورة الرحمن ولان تمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعى شرحاً طويلاً فلنتجاوزه ويكفيك من الامتداد هذا القدر فانه بحر لا ساحل له فان وجدت في نفسك نفوراً عن هذه الامثال فاستأنس بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسات أودية بقدرها) الآية فانه قد ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والاودية القلوب

(خاتمة واعتذار) لا تظن من هذا الامتداد وطريق ضرب الامثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقاداً في إبطالها حتى أقول مثلاً لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك حاشا لله فان إبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى أحد العالمين وجهلاً جهلاً بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذي مجرد الظاهر

حشوى والذي يجرد الباطن باطنى والذي يجمع بينهما كامل ولذلك
قال عليه الصلاة والسلام (للقرآن ظاهر و باطن واحد و مطلع) وربما
نقل هذا عن علي موقوفا عليه بل أقول موسى فهم من الامر بخلق
النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهراً بخلق نعليه و باطناً بخلق
العالمين فهذا هو الاعتبار أى العبور من شيء الى غيره و من ظاهر
الى سر و فرق بين من يسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
« لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة » فيقتنى الكلب في البيت
ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب
الغضب لانه يمنع المعرفة التى هي من انوار الملائكة اذ الغضب
غول العقل و بين من يمتثل الامر بالظاهر ثم يقول ليس الكلب
بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة و اذا كان حفظ البيت
الذي هو مقر الشخص و البدن واجبا عليه أن يحفظ عن صورة
الكلبية فلا أن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقى
الخاص عن سر الكلبية كان اولى فان من يجمع بين الظاهر
والباطن جميعاً فهذا هو الكامل وهو المعنى بقولهم الكامل من
لا يطفىء نور معرفته نور ورعه وكذلك ترى الكامل لا يسمح
لنفسه بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة فهذه مغلطة منها
ما وقع لبعض السالكين في إباحة طي بساط الاحكام ظاهراً حتى
ربما ترك احدهم الصلاة وزعم انه دائماً في الصلاة بسره وهذا اشد
مغلطة الحقاء من الاباحية الذين تأخذهم ترهات كقول بعضهم ان

الله غني عن عملنا و قول بعضهم ان الباطن مشحون بالخبايا ليس يمكن
تزكيتة منها ولا مطمع في استئصال الغضب والشهوة لظنه أنه مأمور
باستئصالهما فهذه حماقات و أما ما ذكرناه فهو ككبوة جواد وهفوة سالك
صده الشيطان فدلاه بحبال الغرور و ارجع الى حديث النعلين فأقول :
ظاهر خلق النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق و ادائه الى
السر الباطن حقيقة و لكل حق حقيقة و أهل هذه الرتبة هم الذين بلغوا
درجة الزجاجة كما سيأتي معنى الزجاجة لان الخيال الذى من طينته يتخذ
المثال صلب كشيء يحجب الاسرار و يحول بينك و بين الانوار ولكن اذا
صفا صار كالزجاج الصافي و صار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك مؤدياً
للانوار بل صار مع ذلك حافظاً للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح
فستأتيك قصة الزجاجة فاعلم أن العالم الكثيف الخيال السفلى صار في حق
الانبياء عليهم السلام زجاجة و مشكاة للانوار و مصفاة للاسرار و مرقاة الى
العالم الاعلى و بهذا يعرف ان المثال الظاهر حق و وراء هذا سر و قس عليه
الضوء و النهار وغيره (دقيقة) اذا قال عليه الصلاة والسلام رأيت عبد
الرحمن بن عوف دخل الجنة حبوا فلا تظن أنه لم يشاهده بالبصر كذلك بل رآه
في يقظته كما رآه النائم في نومه و ان كان عبد الرحمن بن عوف نائماً في البيت
بشخصه فان النوم انما أثر في أمثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الخواس
عن النور الباطن الالهى فان الخواس شاغلة و جاذبة الى عالم الحس و صارفة
وجهه عن عالم الغيب و الماكوت و بعض الانوار النبوية قد تصفى و تستولى
بحيث لا تجذبه الخواس الى عالمها و لا تشغله فيشاهد في اليقظة ما يشاهده
غيره في المنام لكنه اذا كان في غاية الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة
المبصرة بل عبر منها الى السرفا فكشف له أن الايمان جاذب الى العالم الاعلى
الذي يعبر عنه بالجنة و الغنى و الثروة جاذبة الى الحياة الحاضرة و هي العالم

الاسفل فاذا كان الجاذب إلى أشغال الدنيا أقوى مقاومة من الجاذب
لآخر صد عن السير إلى الجنة فان كان جاذب الايمان أقوى أورت عسراً أو
بطئاً في سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك تنجلي الاسرار من
وراء زجاجات الخيال وذلك لا يقصر في حكمه على عبد الرحمن وان كان
إبصاره مقصوراً عليه بل يحكم به عن كل من قويت بصيرته واستحكم إيمانه
وكثرت ثروته كثرة تراحم الايمان لكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا
يعرفك كيفية إبصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم المعاني من وراء
الصور والاغلب أن يكون المعنى سابقاً إلى المشاهدة الباطنية ثم يشرف منه
على الروح الخيالي فينطبع بصورة موازية للمعنى محكية له وهذا الحظ من
الوحي في اليقظة محتاج إلى التأويل كما أنه في النوم يفتقر إلى التعبير والواقع
منه في النوم نسبته إلى الخواص النبوية نسبة الواحد إلى ستة وأربعين
والواقع منه في اليقظة نسبته أعظم من ذلك وأظن ان نسبته نسبة الواحد إلى
الثلاثة فان الذي انكشف لنا أن الخواص النبوية تنحصر شعبها في ثلاثة
أجناس وهذا واحد من تلك الأجناس الثلاثة - (القطب الثاني في بيان
مراتب الارواح البشرية النورية إذ يعرفها تعرف أمثلة القرآن) فالاول
منها الروح الحواس وهو الذي يتلقى ما توردته الحواس اذ كان أصل الروح
الحيوان وأوله به يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبي الرضيع .
الثاني الروح الخيالي وهو الذي يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه
مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلي فوقه عند الحاجة اليه وهذا
لا يوجد للصبي الرضيع في بداية نشوئه ولذلك يولع بالشئ لياخذه
فاذا غيب عنه ينساه ولا تنازع نفسه اليه أن يكبر قليلاً بحيث
اذا غيب عنه بكى وطلب ذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله وهذا
قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراش المتهافت على

النار لانه يقصد النار لشغفه بضياء النهار فيظن ان السراج كوة
مفتوحة الى موضع الضياء فيلقي نفسه عليه فيتأذى به لكنه اذا
جاوزه وحصل في الظلمة عاوده مرة أخرى بعد مرة ولو كان له الروح
الحافظ المستثبت لما أداه الحس اليه من الألم لما عاوده بعد ان
تضرر به مرة فالكلب إذا ضرب مرة بخشبة فاذا رأى الخشبة بعد
ذلك هرب . الثالث الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجة
عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسي الخاص ولا يوجد للبهائم
ولا الصبيان ومدر كاته المعارف الضرورية السكلية كما ذكرناه عند
ترجيح نور العقل على نور العين . الرابع الروح الفكري وهو الذي
يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تاليفات وازدواجات ويستنتج
منها معارف نفيسة ثم اذا استفاد تقيجين مثلاً ألف بينهما مرة أخرى
واستفاد نتيجة مرة أخرى ولا تزال تتزايد كذلك الى غير نهاية . الخامس
الروح القدسي النبوي الذي به يختص الانبياء وبعض الاولياء وفيه
تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت
السموات والارض بل من المعارف الربانية التي تقتصر دونها الروح
العقلي والفكري واليه الاشارة بقوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً
من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نوراً نهيدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم)
ولا يبعد أيها المعتكف في عالم العقل ان يكون وراء العقل طور
آخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل كما لم يبعد كون العقل طوراً

وراء التمييز والاحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها
الاحساس والتمييز فلا تجعل أقصى الكمال وقفاً على نفسك وان
أردت مثالا مما تشاهده من جملة خواص بعض البشر فانظر الى
ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع ادراك ويحرم
منه بعضهم حتى لا تميز عندهم الالخان المؤزونة من المرحقة وانظر
كيف عظمت قوة الذوق في آخرين حتى استخرجوا منها الموسيقى
والاغاني وصنوف المستنانات التي منها المحزن ومنها المطرب ومنها
المنوم ومنها المبكي ومنها المحزن ومنها القاتل ومنها الموجب للغشي
وانما تقوى هذه الآثار فيمن له أصل الذوق وأما العاقل عن خاصية
الذوق فانه يشارك في سماع الصوت وتضعف فيه هذه الآثار وهو
يتعجب من صاحب الوجد والغشي ولو اجتمع العقلاء كلهم من
أرباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال
في أمر خسيس لانه قريب الى فهمك فقس به الذوق الخاص
النبوي واجتهد في أن تصير من أهل الذوق بشيء من تلك الروح
فان للاولياء منه حظا وافرا فان لم تقدر فاجتهد أن تصير بالاقيسة
التي ذكرناها والتشبهيات التي رمزنا اليها من أهل العلم بها فان
لم تقدر فلا أقل من أن تكون من أهل الايمان بها (ويرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) والعلم فوق الايمان والذوق
فوق العلم والذوق وجدان والعلم قياس والايمان قبول مجرد بالتقليد
وحسن الظن باهل الوجدان أو بأهل العرفان واذا عرفت هذه

الارواح الخمسة فاعلم انها بجملتها أنوار اذ بها تظهر أصناف
الموجودات والحسي والخيالي منها وان كان يشارك البهايم في جنسها
لكن الذي للانسان منها نمط آخر أشرف وأعلى وخالقا في الانسان
لغرض آخر أجلى واسنى وأما الحيوانات فلم يخلقها الا ليكونا
ألتها في طلب غذائها وتسخيرها للآدميين وانما خلقا للآدمي
ليكونا شبكة له يقتنص بهما في جهة العالم الاسفل مبادئ المعارف
الدينية الشريفة اذ الانسان إذا أدرك بالحس شخصا معينا اقتبس
من عقله معنى عاما مطلقا كما ذكرنا في مثال عبد الرحمن بن عوف
فاذا عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى غرض الامثلة

(بيان أمثلة هذه الآية) اعلم أن القول في موازنة هذه
الارواح الخمسة للمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
يمكن تطويله لكنني أوجز واقتصر على التنبيه على طريقته فأقول
أما الروح الحاس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت أنواره خارجة
من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرها فافوق مثال
له في عالم الشهادة المشكاة وأما الروح الخيالي فتجد له خواص
ثلاثة (إحداهما) أنه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشيء
المتخيل ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على
نسبة من المتخيل من قرب أو من بعد ومن شأن الكثيف الموصوف
بأوصاف الاجسام ان يحجب عن الأنوار العقلية المحضة التي تنزه
عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد (الثانية) أن هذا

الخيال الكثيف اذا صفى ورقق وهذب وضبط صار موازياً للمعاني العقلية محاذياً لها وغير حائل عن اشراق نور منها (الثالثة) ان الخيال في بداية أمره محتاج اليه جداً لتنضبط له المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تنزل ولا تنتشر انتشاراً يخرج عن الضبط اذ تجمع المثالات الخيالية للمعارف العقلية وهذه الخواص الثلاثة لا تجدها في عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة الا الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف لكن صفى ورقق حتى صار لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة فهي أولى مثال به . واما الثالث وهو الروح العقلي الذي فيه ادراك المعاني الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيلها وقد عرفت هذا مما سبق من بيان معنى كون الانبياء سراجاً منيراً . واما الرابع وهو الروح الفكري فمن خاصيته ان يبتدىء من اصل واحد ثم يتشعب شعبتين ثم كل شعبة شعبتين وهكذا الى ان تكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضى بالآخرة الى نتائج تعود فتصير بذوراً لامثالها اذ يمكن ايضاً تلقيح بعضها ببعض فيكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف المعارف وثباتها وبقائها فبالحرى ان لا تمثل بشجرة السفرجل والتفاح والرمان وغيرها من جملة سائر الاشجار الا بالزيتونة خاصة لان لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح ويختص من بين سائر الادهان بخاصية زيادة الاشراق واذا كانت

الشجرة التي تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتى لا تنتهى ثمرتها الى حد محدود اولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة الى الجهات والقرب والبعد ان لا تكون شرقية ولا غربية واما الخامس وهو الروح القدسي النبوي والمنسوب الى الاولياء اذ كان في غاية الاشراق والصفاء وكانت الروح المفكرة منقسمة الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر في أنواع المعارف وبعضها يكون في شدة الصفاء كانه تنبه من نفسه بغير مدد من خارج فبالحرى ان يعبر عن الصافي القوى الاستعداد بانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسه نار اذ في الاولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغنى عن مدد الانبياء وفي الانبياء من يكاد يستغنى عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق لهذا القسم واذا كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض فالخسى هو الاول وهو كالتوطئة والتمهيد للخيالى اذ لا يتصور الخيالى الا موضوعاً بعده والفكري والعقلي يكونان بعدها فبالحرى ان تكون الزجاجة كالمحل للمصباح والمشكاة كالمحل للزجاجة فيكون المصباح في زجاجة والمشكاة في مشكاة واذا كانت كلها انوار بعضها فوق بعض فبالحرى ان تكون نوراً على نور فافهم والله الموفق (خاتمة) هذا مثال انما يصلح لقلوب المؤمنين أو لقلوب الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور يراد له اية فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل أشد من الظلمة لان الظلمة لا

تهدي إلى باطل كما لا تهدي إلى حق وعقول الكفار انتكست
وكذلك سائر إدراكاتهم وتعاونت على الضلال في حقهم فشا لهم
كرجل في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض والبحر اللجى هو الدنيا بما فيها من
الآخطار المهلكة والحوادث الرديئة والمكدرات المعمية والموج
الاول موج الشهوات الباعثة إلى الصفات البهيمية والاشتغال
بالذات الحسية وقضاء الاوطار الدنيوية حتى أنهم يأكلون
ويشبعون كما تأكل الانعام والنار مشوى لهم فبالحرى ان يكون
هذا الموج مظالم لان حب الشئ يعمي ويصم والموج الثانى موج
الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد
والحسد والمباهاة والتفاخر والتكاثر وبالحرى ان يكون مظالم لان
الغضب غول العقل وبالحرى ان يكون هو الموج الاعلى لان
الغضب في الاكثر مستول على الشهوات حتى إذا ماج اذهل
عن الشهوات وأغفل عن الذات فان الشهوة لا تقاوم الغضب
الهائج أصلاً وأما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة
والخيالات الفاسدة التي صارت حجباً بين الكافر وبين الايمان ومعرفة
الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحاب
ان يحجب اشراق نور الشمس وإذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحرى
ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض وإذا كانت هذه الظلمات
تحجب عن معرفة الاشياء القريبة فضلاً عن البعيدة فلذلك تحجب

الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مع
قرب متناوله وظهوره بآذنى تأمل فبالحرى ان يعبر عنه بأنه إذا
أخرج يده لم يكس يراها وإذا كان منبع الانوار كلها من النور
الاول الحق كما سبق فبالحرى أن يعتقد كل موحد أن من لم يجعل الله
له نوراً فماله من نور ويكفيك هذا القدر من أسرار هذه الآية فاقنع

الفصل الثالث

في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله سميع حجاباً من نور
وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره

في بعض الروايات سبعائة وفي بعضها سبعين الف
فأقول إن الله تعالى متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب
بالإضافة إلى محجوب لا محالة وان المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام
منهم من يحتجب بمجرد الظلمة ومنهم من يحتجب بمجرد النور
المحض ومنهم من يحتجب بنور مقرون بظلمة وأضاف هذه الاقسام
كثيرة تتحقق كثرتها ويمكن ان أتكلف حصرها لكن لا
أثق بما يلوح من تحديد وحصر إذ لا يدري أهو المراد في
الحديث أم لا أما الحصر إلى سبعائة أو سبعين الفا فذلك لا يستقل
به الا القوة النبوية مع ان ظاهر ظنى ان هذه الاعداد مذكورة
لا للتحديد وقد تجري العادة بذكر أعداد ولا يراد بها الحصر

بل التكثير والله أعلم بحقيقة ذلك فهو خارج عن الوسع وإنما الذي
يمكنني الآن أن أعرفك هذه الأقسام وبعض أصناف كل قسم فأقول:
(القسم الأول) هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم المملحة الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحياة الدنيا
على الآخرة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً وهم أصناف صنف
تشوق إلى طلب سبب لهذا العالم فأحاله الطبع والطبع صفة مركوزة
في الأجسام حالة فيها وهي مظلمة إذ ليس لها معرفة وإدراك ولا
خبرة لها من نفسها ولا تصور لها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر
أيضاً. الصنف الثاني هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يتفرغوا لطلب
السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكان حجابهم أنفسهم المركوزة
وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس ولذلك قال
تعالى (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم
« الهوى أبغض إله عبد إلى الله » وهؤلاء ينقسمون فرقا ففرقة زعمت أن
غاية المطلب من الدنيا هي قضاء الأوطار ونيل الشهوات وإدراك اللذات
البيهيمية من منكح ومطعم ومشرب وملبس فهؤلاء عبيد اللذة يعبدونها
ويطلبونها ويعتقدون أن نيلها غاية السعادة رضوا لأنفسهم بأن يكونوا
بمنزلة البهائم ثم بل كيلا ينظر الناس إليه بعين الحقارة وهؤلاء الأصناف
لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة
ولا معنى لذكر آحاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الأجناس ويدخل في
جملة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا إله إلا الله ولكن ربما حمله على

ذلك خوف أو استظهار بالمسلمين أو تجمل بهم أو استمداد من مالهم
أو لاجل التعصب لنصرة مذهب الآباء وهؤلاء إذا لم تحملهم هذه
الكلمة على العمل الصالح فلا يخرجهم من الظلمات إلى النور بل أولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات فأما من أثرت فيه الكلمة
بحيث ساءت سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن محض الظلمة وإن
كان كثير المعصية (القسم الثاني) طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة
وهم ثلاثة أصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس وصنف منشأ ظلمتهم
من الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من مقاييس عقلية فاسدة * الصنف
الأول المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوائف لا يخلو واحد منهم
عن مجاوزة الالتفات إلى نفسه وعن التأله والتشوق إلى معرفة ربه وأول
درجاتهم عبدة الاوثان وآخرهم الثنوية وبينهما درجات .. الطائفة
الأولى عبدة الاوثان علموا في الجملة أن لهم رباً يلزمهم إثاره على
نفوسهم المظلمة واعتقدوا أن ربهم أعز من كل شيء وأنفس من كل
نفيس ولكن حجبته ظلمة الحس عن أن يتجاوزوا المحسوس فأنخدوا
من أنفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت أشخاصاً مصورة
بأحسن الصور وأنخدوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال
من صفات الله وأنواره ولكنهم الصقوها بالأجسام المحسوسة وصدهم
عن ذلك النور ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة إلى العالم الروحاني
كما سبق .. الطائفة الثانية جماعة من أقاصى الترك ليس لهم مله ولا
شريعة يعتقدون أن لهم رباً وأنه أجمل الأشياء وإذا رأوا إنساناً في غاية

الجمال أو شجراً أو فرساً أو غير ذلك سجدوا له وقالوا انه ربنا وهؤلاء
محبوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم أدخل في ملاحظة النور من
عبدة الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون الشخص الخاص ولا
يخصصونه بشخص دون شخص ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع
من جهتهم وبأيديهم . . الطائفة الثالثة قالوا ينبغي أن يكون ربنا
نورانيا في ذاته بهيا في صورته ذا سلطان في نفسه مهيأ في حضرته لا
يطاق القرب منه ولكن ينبغي أن يكون محسوساً اذ لا معنى لغير
المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها رباً
فهؤلاء محبوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من أنوار الله تعالى
الطبعة الرابعة زعموا أن النار نستولى نحن عليها بالاشعال والاطفاء
فهي تحت تصرفنا فلا تصلح للالهية بل ما يكون بتلك الصفة أعنى
السلطنة والبهاء ثم نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفاً
بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واطافة
التأثيرات اليها فمنهم من عبد الشعري ومنهم من عبد المشتري الى
غير ذلك من الكواكب بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة
التأثيرت فهؤلاء محبوبون بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهي
من أنوار الله تعالى . . الطائفة الخامسة ساعدت هؤلاء في المأخذ ولكن
قالت لا ينبغي أن يكون ربنا موسوماً بالصغر والكبر بالاطافة الى
الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون أكبرها فعبدوا الشمس اذ
قالوا هي أكبر هؤلاء محبوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقروننا

بظلمة الحواس . . الطائفة السادسة ترقوا عن هؤلاء فقالوا النور كله
لا تنفرد به الشمس بل لغيرها أيضاً أنوار ولا ينبغي أن يكون للرب شريك
في نورانيته فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع الانوار وزعموا
انه رب العالمين والخيرات كلها منسوبة اليه ثم رأوا في العالم شروراً
فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له عن الشر فجعلوا بينه وبين
الظلمة منازعة وأحالوا العالم الى النور والظلمة وربما سموها (يزدان
واهر من) وهم الثنوية فيكفيك هذا القدر تنبيهاً على هذا الصنف فهم
أكثر من ذلك (الصنف الثاني) المحبوبون ببعض الانوار
مقروننا بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس وأثبتوا وراء المحسوسات
امراً لكنهم لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجوداً قاعداً على
العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية بأجمعهم ولا
يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة للتكثير ولكن ارفعهم درجة
من نفى الجسمية وجميع عوارضها إلا الجهة المخصوصة بجهة فوق لان الذي
لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بأنه خارج العالم ولا داخله لم يكن
عندهم موجوداً اذ لم يكن متخيلاً ولم يدركوا ان اول درجات
المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات والحيز (الصنف الثالث) المحبوبون
بالانوار الالهية مقرونه بمقاييس عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الهاسميها
بصير أعالم قادر أريد أحياناً منزهاً عن الجهات لكنهم فهموا هذه الصفات
على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه حروف
وأصوات ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال بل هو كحديث نفسنا

ولا حرف ولا صوت وكذلك اذا طوالبوا بحقيقة السمع والبصر
والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان أنكروها باللفظ
اذ لم يدركوا أصلاً معاني هذه الاطلاقات في حق الله تعالى ولذلك
قالوا في إرادته انها حادثة مثل إرادتنا وانه طلب وقصد مثل
قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلاحاجة الى تفصيلها وهؤلاء
محبوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقاييس العقلية الفاسدة
فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثاني الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة
(القسم الثالث) هم المحبوبون بمحض الانوار وهم أصناف ولا يمكن
احصاؤهم فأشير الى ثلاثة أصناف منهم .. الصنف الاول عرفوا
معنى الصفات تحقيقاً وأدركوا ان اطلاق اسم الكلام والارادة
والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر
فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات
كما عرف موسى في جواب قول فرعون ومارب العالمين فقالوا ان
الرب المقدس عن معاني هذه الصفات محرك السموات ومدبرها ..
الصنف الثاني ترقوا عن هؤلاء من حيث ظهر لهم ان في السموات
كثرة وان محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكاً وفيهم
كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب في الانوار
المحسوسة ثم لاح لهم ان هذه السموات في ضمن فلك آخر يتحرك
الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة فالرب هو المحرك للجرم الاقصي
المحتوى على الافلاك كلها اذ الكثرة منفية عنه .. الصنف الثالث

ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغي
أن يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عبيده
يسمى ملكاً نسبتاً الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الانوار
المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون
الرب تعالى وجد محركاً لكل بطريق الامر لا بطريق المباشرة ثم في
تفهم ذلك الامر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الافهام ولا يحتمله
هذا الكتاب فهؤلاء أصناف كلهم محبوبون بالانوار المحضة وانما
الواصلون صنف رابع تجلى لهم أيضاً ان هذا المطاع موصوف
بصفة تنافي الوحدة الالهية المحضة والكمال البالغ لسر ليس يحتمل هذا
الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع الى الوجود الحق نسبة الشمس
الى النور المحض أو نسبة الجمر الى جوهر النار الصرف فتوجهوا من
الذي يحرك السموات ومن الذي أمر بتحركها فوصلوا الى موجود
منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم اذ وجدوه منزهاً
ومقدساً عن جميع ما وصفناه من قبل .. ثم هؤلاء انقسموا فمنهم
من احترق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشي وانكن بقي
هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته في جماله الذي ناله
بالوصول الى الحضرة الالهية فأنمحت فيه المبصرات دون المبصر
وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات
وجهه الأعلى وغشيتهم سلطان الجلال وانمحقوا وتلاشوا في ذاتهم
ولم يبق لهم لحاظ الى أنفسهم لفنائهم عن أنفسهم ولم يبق إلا

الواحد الحق وصار معنى قوله (كل شيء هالك إلا وجهه) لهم
ذوقا وحالا وقد أشرنا الى ذلك في الفصل الاول وذكرنا انهم كيف
أطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج
في الترقى والعروج عن التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل عليه العروج
فسبقوا من أول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل
ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم أولا ما غلب على الآخرين آخرأ
وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن
يدركه بصر حسي أو بصيرة عقلية ويشبه أن يكون الاول طريق
الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما والله أعلم
بأسرار أقدامهما وأنوار مقامهما .. فهذه إشارة الى أصناف المحجوبين
ولا يبعد أن يبلغ عددهم اذا فصلت المقامات وتبع حجب السالكين
سبعين ألفا ولكن اذا فقت لا تجد واحدا منهم خارجا عن الاقسام
التي ذكرناها فانهم إما يحتجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو
بالخيال وبمقايضة العقل أو بالنور المحض كما سبق فهذا ما حضرني
في جواب هذه الاسئلة مع ان السؤال صادقني والفكر منقسم
والخاطر متشعب والهم الى غير هذا الفن منصرف ومقترحي عليه
أن تسأل لي العفو عما طغى به القلم أو زلت به القدم فان خوض
غمرة الاسرار الالهية خطير واستكشاف الانوار العلوية من وراء
الحجب غير يسير والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله الطيبين الطاهرين

﴿ تمت الرسالة ﴾

﴿ الرسالة السادسة ﴾

رسالة الطير

﴿ للامام الهمام حجة الاسلام ﴾

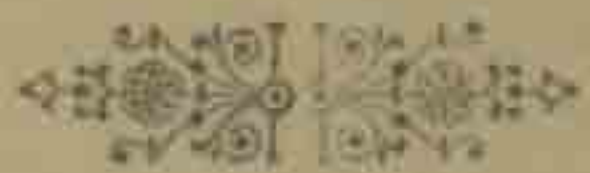
أبي هاشم محمد بن محمد الغزالي

﴿ قدس الله سره العزيز ﴾



﴿ طبعت على نفقة البعثة المنقبة عن الأسفار النفيسة ﴾

محجى الدين ميرزا كزوي



﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اجتمعت أصناف الطيور على اختلاف أنواعها وتباين طباعها وزعمت أنه لا بد لها من ملك واتفقوا أنه لا يصلح لهذا الشأن إلا العنقاء وقد وجدوا الخبر عن استيطانها في موطن الغرب وتقرر لها في بعض الجزائر فجمعتهم داعية الشوق وهمة الطلب فصمموا العزم على النهوض اليها والاستغلال بظلمها والمشول بفنائها والاستعداد بخدمتها فتناشدوا وقالوا *

قوموا إلى الدار من ليلى نحيبها * نعم ونسأهم عن بعض أهلها وإذا الاشواق الكامنة قد برزت من كمين القلوب وزعمت بلسان الطلب *

بأي نواحي الأرض أبغي وصالكم * وأنتم ملوك ما لمقصدم نحو وإذا هم بمنادي الغيب ينادي من وراء الحجب (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) لازموا أما كنكم ولا تفارقوا مساكنكم فانكم ان فارقم أوطانكم ضاعفتم أشجانكم فدو نكم والتعرض للبلاء والتحلل بالفناء *

ان السلامة من سعدى وجارتها * أن لا تحل على حال بواديه

فلما سمعوا نداء التعذر من جناب الجبروت ما ازدادوا إلا شوقاً وقلقاً وتحيراً وأرقاً وقالوا من عند آخرهم * ولو داواك كل طيب أنس * بغير كلام ليلى ما شفاكا * وزعموا *

ان الحب الذي لا شيء يقنعه * أو يستقر ومن يهوى به الدار ثم نادى لهم الحنين ودب فيهم الجنون فلم يتلعثموا في الطلب اهتزازاً منهم إلى بلوغ الأرب فقيل لهم بين أيديكم المهامه الفيح والجيال الشاهقة والبحار المغرقة وأماكن القر ومساكن الحرفيوشك ان تعجزوا دون بلوغ الامنية فتخترمكم المنية فالأحرى بكم مساكنة أوكار الاوطار قبل أن يستدرجكم الطمع وإذا هم لا يصغون إلى هذا القول * ولا يبالون * بل رحلوا وهم يقولون *

فريد عن الخلان في كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد فامتطى كل منهم مطية الهمة قد ألجها بلجام الشوق وقومها بقوام العشق وهو يقول *

انظر إلى ناقتي في ساحة الوادي * شديدة بالسرى من تحت مباد اذا اشتكت من كلال البين أو عدها

روح القدوم فتحيا عند ميعادي لها بوجهك نور تستضيء به * وفي نوالك من أعقابها حادي فرحلوا من محبة الاختيار فاستدرجتهم بخد الاضطراب فهلك

من كان من بلاد الحر في بلاد البرد ومات من كان من بلاد البرد
في بلاد الحر وتصرفت فيهم الصواعق وتحكمت عليهم العواصف
حتى خلصت منهم شرذمة قليلة الى جزيره الملك ونزلوا بفنسياته
واستظلوا بجنابه والتمسوا من يخبر عنهم الملك وهو في أمنع حصن
من حمى عزه فاخبر بهم فتقدم الى بعض سكان الحضرة أن يسألهم
ما الذي حملهم على الحضور فقالوا حضرنا ليكون ملىكننا فليل لهم
أتعبت أنفسكم فنحن الملك شئتم أو أبيتم جئتم أو ذهبتم لا حاجة
بنا اليكم * فلما أحسوا بالاستغناء والتعذر أسسوا وخجلوا وخابت
ظنونهم فتمطلوا فلما شملتهم الحيرة وبهرتهم العزة قالوا لا سبيل
الى الرجوع فقد تهاذات القوى وأضعفنا الجوى فليتنا تركنا في
هذه الجزيرة لنموت عن آخرنا وأنشأوا يقولون هذه الايات *
اسكان رامة هل من قرى * فقد دفع الليل ضيفا قنوعا
كفاه من الزاد ان تمهدوا * له نظراً وكلاما وسبيعا
هذا وقد شملهم الداء وأشرفوا على الفناء ولجأوا الى الدعاء *
ثم نشأوا بكاس الغرام * فكل غدا لآخيه رضيعا
فلما عمهم اليأس وضائق بهم الانفاس تداركتهم أنفاس
الايأس وقيل لهم هيهات فلا سبيل الى اليأس * فلا ييأس من
روح الله الا القوم الخاسرون * فان كان كمال الغنى يوجب التعزز
والرد فجمال الكرم اوجب السماحة والقبول فبعد ان عرفتم مقداركم
في العجز عن معرفة قدرنا فحقيق بنا ايواؤكم فهو دار الكرم ومنزل

النعم فانه يطلب المساكين الذين رحلوا عن مساكنة الحسين
ولولاه لما قال سيد الكل وسابقهم (احيني مسكيننا) ومن استشعر عدم
استحقاقه فحقيق بالملك العنقاء ان يتخذة قريناً فلما استأنسوا بعد
ان استأنسوا وانتعشوا بعد أن تعسوا ووثقوا بفيض الكرم
واطمأنوا الى درور النعم سألوا عن رفقاتهم فقالوا ما الخبر عن
أقوام قطعت بهم المهامه والاولدية * أمطلول دماؤهم أم لهم دية
فليل هيهات هيهات (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) اجتبتهم أيادي الاجتباء
بعد ان ابادتهم سطوة الابتلاء (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
أموات بل أحياء) قالوا فالذين غرقوا في لجج البحار ولم يصلوا
الى الدار ولا الى الديار بل التقيتهم لهوات التيار قيل هيهات (ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء) فالذي جاء بكم وأمانتهم
أحياءم والذي وكل بكم داعية الشوق حتى استقلتم العناء والهلاك
في أريحية الطلب دعاهم وحملهم وادناهم وقربهم فهم حجب العزة
وأستار القدرة (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) قالوا فهل لنا
الى مشاهدتهم سبيل * قيل لا فانكم في حجاب العزة وأستار
البشرية وأسر الاجل وقيد قضاة قضيتهم أوطاركم وفارقتهم أو كاركهم
فعند ذلك تراورتم وتلاقيتم قالوا والذين قعد بهم اللؤم والعجز فلم
يخرجوا قيل هيهات (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن
كره الله انبعاثهم فثبطهم) ولو أردناهم لدعوناهم لكن كرهناهم

فطردناهم أنتم بأنفسكم جئتم أم نحن دعونا كم أنتم اشتقتم أم نحن
شوقنا كم نحن أقلقناكم فحملناكم وحملناهم في البر والبحر : فلما
سمعوا ذلك واستأنسوا بكامل العناية وضمن الكفاية كمل
اهتزازهم وتم وثوقهم فاطمأنوا وسكنوا واستقبلوا حقائق اليقين
بدقائق التمكين * وفارقوا بدوام الطمأنينة امكان التلوين ولتعلمن
نبأه بعد حين *

فصل

أترى هل كان بين الراجع الى تلك الجزيرة وبين المبتدىء
من فرق انما قال جئنا ملكنا من كان مبتدئا * أما من كان راجعا
الى عيشه الا صلى (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي) فرجع اسماع
النداء كيف يقال له لم جئت فيقول لم دعيت لا بل فيقول لم حملت
الى تلك البلاد وهي بلاد القربه * والجواب على قدر السؤال والسؤال
على قدر التفقه والهموم بقدر الهمم *

فصل

من يرتاع لمثل هذه النكت فليجدد العهد بطور الطيرية
وأريحية الروحانية * فكلام الطيور لا يفهمه الا من هو من الطيور
وتجديد العهد بملازمة الوضوء ومراقبة أوقات الصلاة وخلوة ساعة
لذ كرفه تجديد العهد الخلو في غفلة لا بد من أحد الطريقين

فاذ كروني أذكركم (أو نسوا الله فنسيهم فمن سلك سبيل الذ كر
أنا جليس من ذ كرتي ومن سلك سبيل النسيان) (ومن يعيش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطاننا فهو له قرين) وابن آدم في كل نفس
مصصح احد هاتين النسبتين ولا بد يتلوه يوم القيامة أحد السببين
أما يعرف المجرمون بسببهم أو الصالحون بسببهم في وجوههم من أثر
السجود * انقذك الله بالتوفيق وهداك الى التحقيق وطوى

لك الطريق انه بذلك حقيق * والحمد

لله رب العالمين * وصلى الله

على سيدنا محمد

وعلى آله اجمعين

آمين

تمت الرسالة وتليها الرسالة الوعظية

بسم الله الرحمن الرحيم

نقد بلغني عن لسان من أثق به من سيرة الشيخ الامام الزاهد
حرس الله توفيقه وسمره في مهم دينه ما قوى رغبتى في مؤاخاته في
الله تعالى رجاء لما وعد الله به عباده المتحابين وهذه الاخوة لا تستدعى
مشاهدة الاشخاص وقرب الابدان وانما تستدعى قرب القلوب
وتعارف الارواح وهى جنود مجندة فاذا تعارفت ائتلفت . وها انا عاقد
معه عقد الاخوة في الله تعالى ومقترح عليه أن لا يخلينى عن دعوات
في أوقات خلوته وأن يسأل الله تعالى أن يرزقنى الحق حقاً ويرزقنى
اتباعه وأن يرزقنى الباطل باطلاً ويرزقنى اجتنابه . ثم قرع سمعى أنه
التمس منى كلاماً في معرض النصيح والوعظ وقولا وجيزاً فيما يجب
على المكلف اعتقاده من قواعد العقائد

أما الوعظ فلست أرى نفسى أهلاً له لان الوعظ زكاة نصاب الاتعاظ
ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره
(متى يستقيم الظل والعود أعوج) وقد أوحى الله تعالى الى عيسى بن
مريم عليه السلام عظم نفسك فان تعظت فعظ الناس والا فاستحي

رسالة السابعة

الرسالة الوعظية

للامام الهمام حجة الاسلام

أبى مامر محمد بن محمد الفزالي

وهى رسالته الى أبى الفتح أحمد بن سلامة الدمي

(عليهما الرحمة)

~~~~~

طبعت على نفقة البعثة المنقبة عن الأسفار النفيسة

محبى الربيه صبرى الكردى

~~~~~

حقوق الطبع محفوظة

منى وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم واعظين ناطق وصامت
فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيها كفاية لكل متعظ
ومن لا يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ولقد وعظت بهما نفسي فصدقت
وقبلت قولاً وعقلاً وأبنت وتمردت تحقيقاً وفعلت لنفسي أما أنت
مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه الناصح الصادق فإنه كلام الله
المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فقالت
نعم فقلت قال الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف
اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في
الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فقد
وعدك الله تعالى بالنار على إرادة الدنيا وكل من لا يصحبك
بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن إرادة الدنيا أو حبها ولو أن
طبيباً نصرانياً وعدك بالموت أو المرض على تناولك ألد الشهوات
لتحاشيتها واتقيتها أكان النصراني عندك أصدق من الله تعالى فإن كان
ذلك فما أكفرك أو كان المرض أشد عندك من النار فإن كان كذلك
فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصررت على الميل إلى العاجلة
واستمررت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت فقلت قد أخبر
الناطق عن الصامت إذ قال تعالى (إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم
ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقات لها هي
أنك ملت إلى العاجلة أفلمت مصدقة بأن الموت لا محالة آتيك
وقاطع عليك كل ما أنت متمسكة به وسأب منك كل ما أنت

راغبة فيه وكل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى
(أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما
كانوا يمتعون) أفأنت مخرجة هذا عن جميع ما أنت فيه والحر الحكيم
يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها واللائم يتمسك بها إلى أن يخرج
من الدنيا خائباً خاسراً متحسراً فقالت صدقت فكان ذلك
منها قولاً لا تحصيل وراءه إذ لم تجتهد قط في النزود للآخرة
كاجتهادها في تدبير العاجل ولم تجتهد قط في رضا الله تعالى كاجتهادها
في رضاها بل كاجتهادها طلب الخلق ولم تستحي قط من الله تعالى كما
تستحي من واحد من الخلق ولم تشمر للاستعداد للآخرة
كتشميرها في الصيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تفرغ من
جميع ما تحتاج إليه فيه من آلاته مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها
والآخرة على يقين لا يتصور أن يختطف منها . وقلت لها ألا تستعدين
للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر .
قالت نعم . قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة
بقدر بقائك فيها . فقالت هذا هو الواجب الذي لا يرخص في
تركه إلا الأحق ثم استمرت على سجيتهما فوجدتني كما قال بعض
الحكماء إن في الناس من يموت نصفه ولا ينزجر نصفه الآخر وما أراني إلا
منهم ولما رأيتهم مادية في الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن رأيت
أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فإن ذلك
من العجائب العظيمة فطال عليه تفتيشي حتى وقفت على سببه وها

أنا مؤنس وإياه بالخطر منه فهو الداء العضال وهو السبب الداعي إلى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليلته أو يموت إلى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الطريق المستقيم ولترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه مما يتعاطاه الله تعالى وهو مغرور فيه فضلا عما يعلم أنه ليس لله تعالى فانكشف تحقيقاً ان من أصبح وهو يأمل أن يمسي أو أمسى وهو يأمل ان يصبح لم يخل من الفتور والتسويق ولم يقدر الا على سير ضعيف فارصيه ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث «قال صل صلاة مودع» ولقد أوتي جوامع الكلام وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به فمن غلب على قلبه في كل صلاة انها آخر صلاته حضر معه قلبه في الصلاة وتيسر له الاستعداد بعد الصلاة ومن عجز عن ذلك فلا يزال في غفلة دائمة وغرور مستمر وتسويق متتابع إلى أن يدركه الموت فتدركه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى ان يرزقني هذه الرتبة فاني طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى من نفسه إلا بها وأن يحذر من مواقع الغرور فاذا وعدت النفس بذلك طالبها بموثق غليظ من الله تعالى فان خداع النفس لا يقف عليه إلا الأكياس

وأما أقل ما يجب اعتقاده على المكلف فهو ما يترجمه قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغي أن يصدق

في صفات الله تعالى فانه حي قادر عالم متكلم مريد ليس كمثل شئ وهو السميع البصير وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث بل لو لم تخطر له هذه المسئلة حتى مات مات مؤمناً وليس عليه تعلم الأدلة التي حررها المتكلمون بل كلما حصل في قلبه التصديق بالحق بمجرد الايمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن ولم يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرت الاعراب وعوام الخلق الا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنزول وغيره فان لم يأخذ ذلك قلبه وبقي مشغولاً بعبادته وعمله فلا حرج عليه وان أخذ ذلك بقلبه فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف فيعتقد في القرآن القدم كما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق ويعتقد ان الاستواء حق والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة والكيفية فيه مجهولة فيؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيماناً مجملًا من غير بحث عن الحقيقة والكيفية فان لم ينفعه ذلك وغلب على قلبه الاشكال والشك فان أمكن إزالة شكك واشكاله بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قوياً عند المتكلمين ولا مرضياً عندهم فذلك كاف ولا حاجة به إلى تحقيق الدليل بل الاولى ان يزال اشكاله من غير برهان حقيقة الدليل فان الدليل لا يتم الا بدرك السؤال والجواب عنه ومهما ذكرت الشبهة فلا يبعد ان ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه إذ الشبهة

قد تكون جليلة والجواب دقيقا لا يحتمله عقله ولهذا زجر السالف
 عن البحث والتفتيش عن الكلام وانما زجروا عنه لضعفاء العوام
 وأما المشتغلون بدرك الحقائق فلهم خوض غمرة الاشكال ومنع
 الكلام للعوام بجري مجرى منع الصبيان من شاطئ نهر الدجلة
 خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة
 السباحة الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف
 في عقله راض من الله تعالى في كمال عقله يظن بنفسه انه يقدر على
 إدراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون فيغرقون
 في بحر الجهالات حيث لا يشعرون فالصواب للخلق كلهم الا الشاذ
 النادر الذي لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم أو اثنين سلوك
 مسلك السلف في الايمان بالرسول والتصديق المجمل بكل ما نزل
 الله تعالى وأخبر به رسوله من غير بحث وتفتيش عن الادلة بل
 الاشتغال بالتقوى عليه شغل شاغل إذ قال صلى الله عليه وسلم حيث
 رأى أصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه أبهنا
 أمرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمركم الله به
 فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على المنهج الحق واستيفاء
 ذلك شرحناه في كتاب (قواعد العقائد) فيطلب منه والسلام
 تمت الرسالة بعون الله ومنه وبتمامها انتهت الرسائل
 والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ بيان الكتب المطبوعة على نفقة ناشر هذا الكتاب ﴾

١٥ موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين للشيخ جمال الدين القاسمي

٥ جواهر القرآن للغزالي

٧ ميزان العمل له أيضاً في التصوف والاخلاق

١٠ معيار العلم في المنطق له أيضاً

٣ الرسالة الدنية له أيضاً

١٥ مجموعة الرسائل تحتوي على ٣٠ رساله اغلبها للامام الغزالي

١٠ مقاصد الفلاسفة للامام الغزالي في المنطق والالهيات والطبيعات

١٥ النجاة مختصر الشفا للرئيس ابن مينا في المنطق والالهيات والطبيعات

١٠ جامع البدايع يحتوي على ١٨ رسالة أغلبها لابن سينا وعمر الخيام

٨ جوامع الآداب في أخلاق الانجاء للشيخ جمال الدين القاسمي

٥ هياكل النور للسهروردي ومختصر فصوص الحكم

٥ سلوك المالك في تدبير الممالك

٨ كتاب الورع — الامام احمد بن حنبل الشيباني

ومعه عقيدة الامام الطحاوي

١٥ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسملة في التاريخ والادب

٢ كيمياء السعادة للغزالي

تطلب هذه الكتب من المكتبة العراقية بشارع محمد علي نمرة - ١٠٥ ومن

مكتبة حضرة مصطفى افندي الخاوي وأولاده بجوار الازهر بمصر

